فضل الصحابة رضي الله عنهم

وحقوقهم على الأمة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م

ح دار المغني للنشر والتوزيع ، ١٤٢٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
آل ماجد ، فهد بن سعد
فضل الصحابة رضي الله عنهم وحقوقهم على الأمة.-
فهد بن سعد آل ماجد - الرياض ، ١٤٢٥ هـ
١٢٨ ص ؛ ١٤ × ٢٠ سم
ردمك : ٢ - ٤٣ - ٧٦٢ - ٩٩٦٠
١- الصحابة والتابعون ٢- الحديث - مباحث عامة أ- العنوان
ديوي ٩ر٢٣٩ ١٤٢٥/١٠٨٩

رقم الإيداع : ١٤٢٥/١٠٨٩
ردمك : ٢ - ٤٣ - ٧٦٢ - ٩٩٦٠

دار المغني للنشر والتوزيع

ص.ب : ١٥٤٠٤١ الرياض : ١١٧٤٨
هاتف - ناسوخ : ٠٠٩٦٦١٤٢٥٧٠١٩

فضل الصحابة رضي الله عنهم

وحقوقهم على الأمة

تأليف
فهد بن سعد آل ماجد

قدم له فضيلة الشيخ
عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان

الناشر
دار المغني
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فلقد خلق الله الناس وفاضل بينهم في الأرزاق والأنساب والأحساب وغير ذلك، فغني وفقير، وشريف ووضيع، وصحيح وعليل، وهذه الخصائص والصفات تبين تفاضل الناس فيما بينهم.

وقد يتقارب بعض الناس أو يتساوون في بعض تلك الصفات أو جميعها، إلا أن من الخصائص والصفات ما يسمو بصاحبه ويجعله متعاليًا يصعب الوصول إلى قربه فضلاً عن مساواته.

ومن أولئك الصفوة الذين يصعب الرقي - بل التشُّوفُ - إلى مكانتهم ومنزلتهم جماعة الصحابة ﷺ.

فمرتبة الصحبة من أشرف المراتب فضلاً، وأعلاها قدرًا دون النبيين والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - اصطفاهم الله تعالى أي أصحابه بصحبة نبيه ﷺ فحازوا قصب السبق في

الخيرية والفضل.

وبكل حال: فمنزلة الصحابة ﷺ من الدين بمكان، فهم أبر الناس قلوبًا، وأصدقهم ألسنًا، وأعمقهم إيمانا، وأشجعهم عند اللقاء، وأزهدهم في الدنيا، قوم أوذوا في سبيل الله، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم، فارق بعضهم والديه، وفارق بعضهم ولده، وفارق بعضهم زوجه، هجروا أوطانهم، وتركوا أموالهم، تكبدوا المشاق وشظف العيش من أجل نصرة هذا الدين، قوم يؤثرون ولا يستأثرون، بل يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فرضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه.

وحسب الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - من الفضل العظيم والذكر الجميل أن الله تعالى زكاهم وأثنى عليهم في غير آية من كتابه الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنۡهُم

مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى غير ذلك من الآيات.

وكما جاءت تزكية الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - في الكتاب فقد وردت - بل كثرت - تزكيتهم في السنة النبوية، تأكيدًا لفضلهم وإظهارًا لعظيم قدرهم.

فمن ذلك على سبيل المثال:

قوله ﷺ: «**خير الناس قرني...**» أخرجه الشيخان.

وقوله ﷺ: «**طوبى لمن رآني وآمن بي**» أخرجه الإمام أحمد.

شاهد المقال: أن معرفة قدر الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - وما لهم من شريف المنزلة وعظيم المرتبة، من أهم المهمات.

فلهم من الحقوق والواجبات ما يتعلق بدين المرء وصلاح عقيدته، ولهذا كانت محبة الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - من أصول معتقد أهل السنة والجماعة.

ولأجل ما لهذه المنزلة من الشرف وما لأصحابها من الفضل والعلو والرفعة في الدنيا والآخرة، وكذلك أيضا ما لمحبتهم من سلامة معتقد المسلم، من أجل هذا وذاك وغيره كان لزامًا على المسلم، أن يعمق محبة الصحابة رضي الله تعالى

عنهم في نفسه، وأن يحذر ويحذر مما وقع فيه بعض من أغواهم الشيطان، فولغوا في طهارة الصحابة، رضي الله تعالى عنهم، وقدحوا في أعراضهم.

فهذا الأمر من الموبقات المهلكات في الدنيا والبرزخ والآخرة؛ لأنه إذا كان عرض المسلم مصونًا يحرم المساس به، فكيف بأولئك الثلة المباركة الطاهرة الذين زكاهم ربهم تعالى، وزكاهم نبيهم ﷺ، وأوجبت العقول عدالتهم ونزاهتهم وطهارة بواطنهم وظواهرهم؟ فإذا كان ذلك كذلك فأي قدح في الصحابة رضي الله تعالى عنهم فهو زيادة لهم في الدرجات، وعلى قادحهم زيادة في الخطيئات.

أخرج مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: قيل لعائشة: إن ناسًا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر!! فقالت رضي الله تعالى عنها: وما تعجبون من هذا؟! انقطع عنهم العمل فأحب الله ألا يقطع عنهم الأجر.

وعودًا على بدء يقال: إن المصنفات في شأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كثيرة ما بين مطول ومختصر، ومنثور

ومنظوم، ومنها هذا المصنف اللطيف الموسوم بـ (فضل الصحابة ﷺ وحقوقهم على الأمة) تأليف فضيلة الشيخ القاضي فهد بن سعد بن إبراهيم آل ماجد، بارك الله في علمه وعمله وقلمه.

فلقد ضمن بحثه شيئًا من النصوص القرآنية والنبوية الدالة على فضل الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - مع بيان وجوه الاستشهاد منها كل هذا مع نقول مسددة وموثقة.

وأسبق ذلك أثابه الله تعالى بمسائل لطيفة حول تعريف الصحابي وعدد الصحابة وطرق معرفتهم، وألحقه بحقوق الصحابة على الأمة، وأورد في ثنايا البحث فوائد بديعة متنوعة، فكان بحثًا قيمًا في بابه على وجازته واختصاره.

الله أسأل أن ينفع به وأن يبارك في مؤلفه وأن يزيده علمًا وعملاً وتوفيقًا، إنه تعالى سميع مجيب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان

٢٥/٦/١٤٢٣هـ

مُقَدِّمَة

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد[١]: فإن الله عز وجل بعث عبده ورسوله محمدًا ﷺ على حين فترة من الرسل، وكان الناس وقتها في جهالة[٢]

---

(١) ذكر الحافظ ابن حجر عدة أقوال في أول من قال هذه الكلمة: أما بعد، وهي: داود عليه السلام ويعقوب عليه السلام، يعرب بن قحطان، كعب ابن لؤي، سحبان بن وائل، قس بن ساعدة، ثم قال الحافظ: والأول أشبه، ويجمع بينه وبين غيره بأنه بالنسبة إلى الأولية المحضة، والبقية بالنسبة إلى العرب خاصة، ثم بينها بالنسبة إلى القبائل. فتح الباري (٢/ ٤٧٠)، وانظر: الأوائل للطبراني (١٤٧)، والوسائل في مسامرة الأوائل (٢١).

(٢) فائدة: الجاهلية: جاهلية عامة وجاهلية خاصة، فما كان قبل مبعث النبي ﷺ فهي العامة، وما كان بعد مبعثه فهي الخاصة، فإنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة، وهذه الخاصة قد تكون في مصر دون مصر كما هي في دار الكفار، وقد تكون في

وعماية وضلالة وغواية، فهم أحوج ما يكونون إلى البشير النذير، والسراج المنير؛ [فبعثه الله سبحانه وتعالى - وله الحمد والمنة - على حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، وقد اشتدت الحاجة إليه، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، أي نزرا يسيرا ممن تمسك بما بعث الله به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام][1].

ولقد كان حمل أداء الرسالة ثقيلا، ولكن مدد الله عز وجل لنبيه ﷺ كان خير معين، ومن ذلك ما هيأه الله عز وجل لرسوله ﷺ من أصحاب صدق ورجال حق، كانوا عن يمينه وعن شماله ينافحون عن دعوته، ويضربون هام من رام عداوته، ولقد أثبت الله عز وجل لهم هذه المواقف المشهودة في آيات تتلى في كتابه الكريم، لتعرف لهم الأمة مقدار ما بذلوا،

=

شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام، وقد تقوم في بعض ديار المسلمين، وفي كثير من الأشخاص المسلمين كما قال النبي ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية»، وقال لأبي ذر ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية». انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٠).

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٢١).

ولقد تفنن حسان[١] في وصفه، وصدق في مدحه، إذ يقول فيهم ﷺ وعنه:

إن كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

ولا يضنون[٢] عن مولى بفضلهم ولا يصيبهم في مطمع طبع[٣]

لا يجهلون وإن حاولت جهلهم في فضل أحلامهم عن ذاك متسع

أعفة ذكرت في الوحي عفتهم لا يطبعون ولا يرديهم الطمع

كم من صديق لهم نالوا كرامته ومن عدو عليهم جاهد جدعوا[٤]

أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم فما ونى نصرهم عنه وما نزعوا

---

(١) فائدة: قال الحافظ يحيى بن عبد الوهاب بن منده رحمه الله في ترجمة حسان بن ثابت ﷺ: عاش مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام، لا نعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد اتفقت مدة تعميرهم مائة وعشرين سنة غيرهم. من عاش من الصحابة مائة وعشرين سنة.

(٢) الضنين: البخيل: يضن، بالفتح والكسر، ضنانة، وبالكسر القاموس المحيط (١٢١٢).

(٣) الطبع: بالفتح: الدنس وهو مصدر من باب تعب، وشيء طبع مثل دنس وزنا ومعنى، المصباح (١٩١).

(٤) الجدع: قطع الأنف، وقطع الأذن أيضا وقطع اليد والشفة، وبابه قطع، مختار الصحاح (٨٥).

إن قال سيروا أجدوا السير جدهم   أو قال عجوا[١] علينا ساعة ربعوا [٢]
ما زال سيرهم حتى استقاد لهم   أهل الصليب ومن كانت له البيع [٣]

لقد شيدوا وإمامهم نبي الله ﷺ حضارة الإسلام، ورفعوا بناءها شامخًا تضعضعت دونه حضارات الأمم، حتى غدت الحضارة الإسلامية مناخًا[٤] للعلوم وموئلاً لأولي الفهوم، وما زالت مضرب المثل منذ ذلك الحين وإلى يوم الدين في سيرها المتوازن وجمعها بين مصالح الروح والبدن، ولا غرو في ذلك والمصدر إلهي، والإمام رسول نبي الله ﷺ، زد على ذلك أن رزقه الله عز وجل أتباعًا، صاروا بعده أئمة الهدى وخلفاء الإسلام.

إلا أنه وبعد ما شاء الله من الزمن ضربت أسباب

---

(١) عاج عوجا ومعاجا: أقام، ووقف، ورجع، وعطف رأس البعير بالزمام، والعوج: بفتحتين في الأجساد، وبكسر العين في المعاني، قال أبو زيد في الفرق: وكل ما رأيته بعينك فهو مفتوح، وما لم تره فهو مكسور. انظر: القاموس المحيط (٢٠٠)، والمصباح المنير (٢٢٥).

(٢) ربع، كمنع: وقف وانتظر، وتحبس، القاموس المحيط (٧١٨).

(٣) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ (٣٠٢).

(٤) المناخ: بالضم، مبرك الإبل، القاموس المحيط (٢٦٢).

الضعف والهوان أطنابها في ساحة هذه الحضارة، لما ابتعد الناس عن دين الله وشرعه القويم، وكان من ذلك: ضعف صلة الأمة الإسلامية بسلفها الصالح فصارت الأمة قريبة العرق لا تكاد تهب ريح إلا عصفت بها.

وإن من أعظم أسباب استعادة الأمة قوتها وثباتها، بل هو السبب الجامع، أن تتصل الأمة بسلفها اتصالاً تستفيد منه المنهج والعمل.

لتستمر الأمة الإسلامية قوية متماسكة أصلها ثابت، وفرعها في السماء، فيعرف الخلف حق السلف، ليكون صحابة رسول الله ﷺ محل العناية والدراية، كما جاء في كتاب الله الكريم، وسنة النبي ﷺ الصحيحة، وبهذا تسلم الأمة من انحرافات الضالين، وانتحال المبطلين.

ولما تقدم بدا لي أن أجمع شيئا من نصوص الوحيين[1]

---

(١) فائدة: قال الذهبي: وعن أيوب عن أبي قلابة، قال: إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وهات كتاب الله فاعلم أنه ضال، قلت: أنا وإذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب وأحاديث الآحاد وهات العقل فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت =

الواردة في فضل الصحابة ﷺ، والتي تقطع لسان كل عاذل، مع بيان بعض حقوقهم، دون أن أذكر شيئا من أقوال الطوائف والفرق التي حادت عن طريق الحق والرشاد، ليقف المصنف بنفسه على الحق المسطر في الكتاب والسنة، ولا تغره، بعد ذلك أقوال من ضل وحاد عن الجادة[١] (وإن أهل المقالات وإن اختلفوا ورأى كل صنف منهم أن الحق فيما دعا إليه، فإنهم مجمعون لا يختلفون على أن من اعتصم بكتاب الله عز وجل، وتمسك بسنة رسول الله ﷺ فقد استضاء بالنور، واستفتح باب الرشد، وطلب الحق من مظانه)[٢].

=

السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات التذوق والوجد، فاعلم أنه إبليس قد ظهر في صورة بشر، أو قد حل فيه، فإن جبنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه وابرك على صدره واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٢).

(١) فائدة: ونعمة الاهتداء بالكتاب والسنة ومجانبة البدع وأهلها هي من أعظم نعم الله على العبد الموفق قال مجاهد: لا أدري أي النعمتين أعظم؟ أن هداني للإسلام أو عافاني من هذه الأهواء، وقال أبو الجوزاء: لأن أجالس الخنازير أحب إلي من أن أجالس أحدًا من أهل الأهواء. سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٢، ٤٥٥).

(٢) تأويل مختلف الحديث.

(مع العلم بأن المقلد المتعصب لا يترك من قلده ولو جاءته كل آية، وأن طالب الدليل لا يأتم بسواه ولا يحكّم إلا إياه، ولكل من الناس مورد لا يتعداه، وسبيل لا يتخطاه، ولقد عذر من حمل ما انتهت إليه قواه، وسعى إلى حيث انتهت خطاه)[١]، واحذر أن يكون بك شبه من المنافقين الذين يستثقلون ما يخالف أهواءهم من الآيات والأحاديث (ولذلك تجد أعداء أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا نصوص الثناء على الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله ﷺ ثقل ذلك عليهم جدا وأنكرته قلوبهم، وهذا كله شبه ظاهر ومثل محقق من إخوانهم من المنافقين في المثل الذي ضربه الله لهم بالماء، فإنهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت أعمالهم)[٢]، وألخص عملي المتواضع في هذه الورقات المعدودات في الأمور التالية:

١ - قسمت هذا المبحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

٢ - تناولت في التمهيد أربع مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الصحابي.

(١) زاد المعاد (٥/ ٢٢١).

(٢) أعلام الموقعين (١/ ١٤٩).

المسألة الثانية: في الطريق التي يعلم بها صحبة الصحابي.

المسألة الثالثة: عدد الصحابة.

المسألة الرابعة: آخر الصحابة موتًا.

٣ - عقدت الفصل الأول لبيان فضل الصحابة، وجعلته في مبحثين:

المبحث الأول: طرف من آيات الكتاب العزيز الواردة في فضلهم مع تفسيرها، وبيان وجه الدلالة منها، وفيه أذكر أقوال المفسرين في تفسير هذه الآيات معزوةً إلى مراجعها دون أن أصدر قول المفسر بـ(قال فلان) ليكون تفسير الآية مترابطًا متراصًا.

المبحث الثاني: طرف من أقوال النبي ﷺ في فضلهم، مع شذرات من تعليقات العلماء عليها.

٤ - وفي الفصل الثاني تناولت حقوق الصحابة ﷺ، وجمعت في ذلك تسعة حقوق مؤصلة من الكتاب والسنة مع تعليقات من علماء المعتقد.

٥ - ثم نهاية المطاف خاتمة تناولت فيها شيئا من فوائد هذا المبحث.

هذا وقد عنونت هذا المجموع بـ (فضل الصحابة ﷺ

وحقوقهم على الأمة).

وبعد: فلا يسعني إلا أن أشكر الله عز وجل على ما من به عليَّ وأنعم، ثم أشكر كل من أفادني بفائدة ولو كانت يسيرة، كما أدعو كل أخ رأى خللا أو تقصيرا في جانب ما، أو رأى زيادة على ما ذكرته في فصل الحقوق إفادتي بذلك.

[فيأيها القارئ له، والناظر فيه، هذه بضاعة صاحبها المزجاة مسوقة إليك، وهذا فهمه وعقله معروض عليك، لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، ولك ثمرته وعليه عائدته، فإن عدم منك حمدا وشكرا فلا يعدم منك مغفرة وعذرا وإن أبيت إلا الملام فبابه مفتوح، وقد:

استأثر الله بالثناء وبالحمد … وولى الملامة الرجلا

والله المسئول أن يجعله لوجهه خالصا، وينفع به مؤلفه وقارئه وكاتبه في الدنيا والآخرة، إنه سميع الدعاء، وأهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل][1].

والحمد لله رب العالمين ؛؛؛؛

فهد بن سعد بن إبراهيم آل ماجد

---

(١) طريق الهجرتين (٢٥).

تمهيد

وفيه أعرض مجموعة من المسائل، وتوطئة، وتمهيدًا لما قصدته في هذا الجزء من بيان فضل الصحابة ﷺ وشيء من حقوقهم على أمه محمد ﷺ .

المسألة الأولى: تعريف الصحابي:

هو من لقي النبي ﷺ في حياته، مؤمنًا به، ومات على الإسلام ولو تخلل ذلك ردة[١].

وهذا التعريف يجمع عدة أمور، ويُخرج أخرى.

فمما يدخل تحته:

أولا: في قوله: (من لقي النبي ﷺ)، يدخل فيه من لقيه طالت مجالسته أو لم تطل، وهذا خلاف بعض التعاريف المرغوب عنها، إذ اشترطت للصحبة، طول المجالسة، ولا يصح

---

(١) انظر التبصرة والتذكرة (٣/ ٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٠)، ونزهة النظر شرح نخبة الفكر بحاشية ابن قطوبغا (١١٠)، وقال البخاري في صحيحه: باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه. وقال الحافظ ابن حجر: وهذا الذي ذكره البخاري هو الراجح. فتح الباري (٧/ ٥).

ذا، فإن وصف الصحبة يصدق على القليل والكثير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والصحبة اسم جنس، يقع على من صحب النبي ﷺ قليلا أو كثيرا، لكن كلاً منهم له من الصحبة بقدر ذلك، فمن صحبه سنة أو شهرًا أو يومًا أو ساعة أو رآه مؤمنًا، فله من الصحبة بقدر ذلك[١].

ثانيا: وفيه يدخل من روى عنه ﷺ، أو لم يرو عنه ﷺ.

ثالثا: وكذلك من غزا معه أو لم يغز.

رابعا: ويدخل فيه أيضا من رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى، ولذلك فالتعبير بـ (من لقي) أسلم من التعبير بـ (من رأى) كما عبر به غير واحد من العلماء مع أن مقصودهم بذلك، (اللقاء) لا حقيقة الرؤية لاتفاقهم على عد (ابن أم مكتوم)[٢]، ونحوه ﷺ من الصحابة.

خامسا: وفيه يدخل من لقيه من مميز وغيره، قال الحافظ ابن حجر: هل يشترط في الرائي أن يكون بحيث يميز ما رآه، أو

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٤٦٤).

(٢) فائدة: ذكر ابن القيم رحمه الله جملة من الصحابة والتابعين نسبوا إلى أمهاتهم ومنهم: ابن أم مكتوم، وأبوه عمرو، انظر: بدائع الفوائد (٣/ ١٨٧).

يكتفي بمجرد حصول الرؤية؟ محل نظر، وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني، فإنهم ذكروا مثل محمد بن أبي بكر الصديق، وإنما ولد قبل وفاة النبي ﷺ بثلاثة أشهر وأيام، كما ثبت في الصحيح: أن أمه أسماء بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل أن يدخلوا مكة، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة(١).

وقال السخاوي: وأما الصغير غير المميز كعبد الله بن الحارث بن نوفل، وعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، وغيرهما ممن حنكه النبي ﷺ ودعا له، ومحمد بن أبي بكر الصديق، المولود قبل الوفاة النبوية بثلاثة أشهر وأيام، فهو وإن لم تصح نسبة الرؤية إليه، صدق أن النبي ﷺ رآه، ويكون صحابيا من هذه الحيثية خاصة، وعليه مشى غير واحد ممن صنف في الصحابة(٢).

سادسا: ويدخل في قوله (مؤمنا به) كل مكلف من الجن والإنس، ذكر أو أنثي، قال الحافظ ابن حجر: فحينئذ يتعين

---

(١) فتح الباري (٧/ ٦).
(٢) فتح المغيث (١/ ٨٠).

ذكر من حفظ ذكره من الجن الذين آمنوا به، بالشرط المذكور، وأما إنكار ابن الأثير على أبي موسى تخريج لبعض الجن الذين عرفوا في كتاب الصحابة، فليس بمنكر لما ذكرته[١].

سابعا: ويدخل فيه من ارتد بعد لقاء النبي ﷺ، ثم عاد إلى الإسلام، اجتمع بالنبي ﷺ أو لم يجتمع به في حياته أو بعد وفاته، هذا هو الصحيح من قولي العلماء، وصححه الحافظ ابن حجر، وقال: لإطباق أهل الحديث على عد الأشعث بن قيس في الصحابة، وعلى تخريج أحاديثه في الصحاح والمسانيد، وهو ممن ارتد ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر[٢].

ومما يخرج هذا التعريف:

أولا: من لقيه كافرا، ولو أسلم بعد ذلك وإن لم يجتمع به مرة أخرى.

ثانيا: ومن لقيه مؤمنا بغيره كمن لقيه من أهل الكتاب قبل البعثة.

ثالثا: ومن رأى النبي ﷺ بعد وفاته وقبل دفنه، قال

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٠).
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٢).

الحافظ ابن حجر: أما من رآه بعد موته وقبل دفنه، فالراجح أنه ليس بصاحبي.

ثم قال: إذ حجة من أثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه أنه مستمر الحياة، وهذه الحياة ليست دنيوية، وإنما هي أخروية لا تتعلق بها أحكام الدنيا، فإن الشهداء أحياء، ومع ذلك فإن الأحكام المتعلقة بهم بعد القتل جارية على أحكام غيرهم من الموتى[١].

رابعا: والمراد بهذا اللقاء، حال اليقظة، لا حال المنام، قال الحافظ ابن حجر: أما من رآه في المنام، وإن كان قد رآه حقًّا، فذلك مما يرجع إلى الأمور المعنوية، لا الأحكام الدنيوية، فلذلك لا يعد صحابيا، ولا يجب عليه أن يعمل بما أمره به في تلك الحال[٢].

خامسا: وخرج بقوله: (ومات على الإسلام)، من ارتد بعد لقاء النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على ردته.

قال الحافظ ابن حجر: وقد وجد من ذلك عدد يسير،

---

(١) فتح الباري (٧/ ٧).
(٢) فتح الباري (٧/ ٧).

كعبيد الله بن جحش الذي كان زوج أم حبيبة، فإنه أسلم معها، وهاجر إلى الحبشة، فتنصر هو، ومات على نصرانيته وكعبد الله بن خطل، الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة، وكربيعة بن أمية بن خلف(١).

المسألة الثانية: في الطريق التي يعلم بها صحبة الصحابي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الطريق التي بها يعلم إيمان الواحد من الصحابة: هي الطريق التي بها يعلم إيمان نظرائه، والطريق التي تعلم بها صحبته: هي الطريق التي يعلم بها صحبة أمثاله(٢).

وهذا النقل عن شيخ الإسلام، هو بمثابة القاعدة في هذه المسألة، وقد ذكر العلماء طرقا لمعرفة كون الشخص صحابيا وهي:

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١١)، وقال في فتح الباري: وقد وقع في مسند أحمد حديث ربيعة بن أمية بن خلف الجمحي، وهو ممن أسلم في الفتح، وشهد مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، وحدث عنه بعد موته، ثم لحقه الخذلان، فلحق في خلافة عمر بالروم، وتنصر بسبب شيء.....، وإخراج حديث مثل هذا مشكل، ولعل من أخرجه لم يقف على قصة ارتداده، والله أعلم (٧/ ٦).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٤٦٦).

١ - أن يتواتر النقل عن كون هذا الشخص صحابيا، وقد مثلوا على ذلك، بأبي بكر وعمر وبقية العشر المبشرين بالجنة، في خلق سواهم ﷺ.

٢ - أن يستفيض ويشتهر أن هذا الشخص صحابي، وقد مثلوا على ذلك بعُكَّاشة بن محصن وضمام بن ثعلبة - رضي الله عنهما - ونحوهما.

٣ - أن يخبر عن نفسه أنه صحابي، ولا يقبل هذا الخبر إلا بشرطين:

أ - أن يكون عدلا.

ب - أن يكون معاصرا للنبي ﷺ، لقوله ﷺ فيما أخرجه البخاري، ومسلم[١]، من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - : **«أريتكم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد»**.

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم، باب السمر في العلم، فتح الباري (١/ ٢٥٥). صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب بيان معنى قوله ﷺ على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة ممن هو موجود الآن، شرح النووي (١٦/ ٨٩).

زاد مسلم من حديث جابر[١]، أن ذلك كان قبل موته بشهر، ولفظه: سمعت النبي ﷺ يقول - قبل أن يموت بشهر - أقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ.

٤ - أن يخبر بعض الصحابة عنه أنه صحابي.

٥- أن يخبر بعض التابعين عنه أنه صحابي ، قال الحافظ ابن حجر: بناء على قبول التزكية من واحد، وهو الراجح.

المسألة الثالثة: عدد الصحابة:

من المتعذر حصر عدد الصحابة ﷺ، لكثرتهم وتفرقهم في البلدان.

قال الحافظ العراقي: الصحابة ﷺ بالعد والإحصاء متعذر، لتفرقهم في البلدان والبوادي ، وقد روى البخاري في صحيحه: أن كعب بن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك: «وأصحاب رسول الله ﷺلا يحصرهم كتاب حافظ - يعني الديوان-»[٢]، ولكن قد جاء في ضبطهم في بعض

---

(١) صحيح مسلم انظر الكتاب والبابين السابقين، شرح النووي (١٦/ ٩٠).
(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن

مشاهده، كتبوك وحجة الوداع ، وعدة من قبض عنه من الصحابة، عن أبي زرعة الرازي، على ما فيه من نظر فروينا عنه أن سئل عن عدة من روى عن النبي ﷺ، فقال: ومن يضبط هذا ، شهد معه حجة الوداع أربعون ألفا، وشهد معه تبوك سبعون ألفا.

وروينا عنه أيضًا، أنه قيل له: أليس يقال حديث النبي ﷺ أربعة آلاف حديث، قال: ومن قال ذا؟ قلقل الله أنيابه، هذا قول الزنادقة، ومن يحصي حديث رسول الله ﷺ، قُبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه، وسمع منه.

وفي رواية: ممن رآه وسمع منه، فقيل له: هؤلاء أين كانوا؟ وأين سمعوا منه؟ قال: أهل المدينة، وأهل مكة، ومن بينهما، والأعراب، ومن شهد معه حجة الوداع، كل رآه وسمع منه بعرفة[1].

والخلاصة مما تقدم: أن عدد الصحابة ﷺ كثّير، لا يمكن

=

مالك، مطولا، انظر فتح الباري (٧/ ٧١٧)

(١) شرح ألفية العراقي المسمى التبصرة والتذكرة (٣/ ٢٠).

حصره وعده، لكن العلماء تتبعوا جملة ممن عرفوه بأحد الطرق المتقدمة في معرفة الصحابي، ومع ذلك فلم يعرفوا أكثرهم، فضلاً عن معرفة جميعهم، فرضي الله عنهم أجمعين، من عرفنا منهم ومن لم نعرف.

قال الحافظ ابن حجر: فجمعت كتابًا كبيرًا في ذلك، ميَّزت فيه الصحابة من غيرهم، ومع ذلك فلم يحصل لنا في ذلك جميعًا الوقوف على العشر من أسامي الصحابة، بالنسبة إلى ما جاء عن أبي زرعة الرازي[(١)].

المسألة الرابعة: آخر الصحابة موتًا:

أخرج مسلمٌ في صحيحه من طريق الجريري عن أبي الطفيل ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري، قال: فقلت له: فكيف رأيته؟ قال: كان أبيض مليحا مقصدا؟[(٢)].

يدل هذا الحديث على أن آخر الصحابة موتًا هو أبو

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٤).
(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أبيض مليح الوجه، شرح النووي (١٠/ ٩٣).

الطفيل عامر بن واثلة الليثي ﷺ لقوله فيه: وما على وجه الأرض رجل رآه غيري.

فهذه الجملة تفيد أن ذلك الجيل الطاهر، - جيل الصحابة - قد أنخرم قرنه، وأفل نجمه، ولم يبق منه إلا هذا المخبر عن انقضائهم ﷺ.

وقد جزم بذلك الإمام مسلم في صحيحه، فقال: مات أبو الطفيل سنة مائة وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وضبط أهل الحديث آخر من مات من الصحابة وهو على وجه الإطلاق، أبو الطفيل عامر واثلة الليثي، كما جزم به مسلم في صحيحه، وكان موته سنة مائة، وقيل: سنة سبع ومائة، وقيل: سنة عشر ومائة، وهو مطابق لقوله قبل وفاته بشهر: على رأس مائة سنة، لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد[٢].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٩٣).
(٢) فتح الباري (٧/ ٧).

ولم يبق بعد سنة وفاة أبي الطفيل ﷺ أحد من الصحابة، ومن فائدة معرفة ذلك: أن من ادعى الصحبة بعد تلك السنة فهو من أكذب الكاذبين، وممن اشتهر بذلك: هندي، يقال له: رتن.

قال الذهبي رحمه الله: رتن الهندي، شيخٌ كبيرٌ من أبناء التسعين، تجرأ على الله، وزعم بقلة حياء أنه من الصحابة، وأنه ابن ستمائة سنة وخمسين سنة، فراج أمره على من لا يدري، وقد أفردته في جزء، وهتكت باطله، بلغني أنه توفي في حدود سنة اثنتين وثلاثين وست مائة، وأن ابنه محمودًا بقي إلى سنة تسع وسبعمائة، فما أكثر الكذب وأروجه!![1].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٧).

الفَصْلُ الأَوَّلُ

في بيان فضل الصحابة ﷺ

فيه مبحثان:

المبحث الأول:

طرف من آيات الكتاب العزيز الواردة في فضلهم مع تفسيرها وبيان وجه الدلالة منها.

المبحث الثاني:

طرف من أقوال النبي ﷺ في فضلهم مع شذرات من تعليقات العلماء عليها.

المبحث الأول

طرف من آيات الكتاب العزيز الواردة في فضلهم مع تفسيرها وبيان وجه الدلالة منها

أثنى الله عز وجل على صحب النبي ﷺ ورضي الله عنهم في عدة مواضع من كتابه، ومن ذلك:

الموضع الأول: قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

نقولات من تفاسير العلماء:

﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾، هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها للإيمان والهجرة والجهاد وإقامة دين الله[١].

---

(١) تفسير السعدي (٣٠٨)، فائدة: قال ابن عربي: السبق يكون بثلاثة أشياء، الصفة: وهو الإيمان، والزمان، والمكان، وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات، والدليل عليه قوله ﷺ في الصحيح: «نحن الآخرون الأولون، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم=

﴿ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون، ﴿ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[١].

وفي الآية تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهم الذين صلوا القبلتين في قول سعيد بن المسيب وطائفة، أو الذين شهدوا بيعة الرضوان، وهي بيعة الحديبية في قول الشعبي، أو أهل بدر في قول محمد بن كعب وعطاء بن يسار، ولا مانع من حمل الآية على هذه الأصناف كلها[٢].

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ أسلموا لله إسلامهم

=

فهذا يومه الذي اختلفوا فيه فهدانا الله، فاليهود غدا، والنصارى بعد غد». وقال ابن خويز منداد: تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة في علم أو دين أو شجاعة أو غير ذلك. تفسير القرطبي (٨/ ١٥١).

(١) تفسير السعدي (٣٠٨).

(٢) فتح القدير (٢/ ٥١٢).

وسلكوا منهاجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير[١]، ويريد بذلك سائر الصحابة، ويدخل في هذا اللفظ التابعون وسائر الأمة، لكن بشريطة الإحسان[٢].

﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾ رضي الله عن جميعهم لمَّا أطاعوه، وأجابوا نبيه، إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه[٣]، ورضاه تعالى أكبر من نعيم الجنة[٤].

﴿ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾، ورضي عنه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه، وإيمانهم به وبنبيه عليه السلام[٥].

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِى تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾، الجارية، التي تساق إلى سقي الجنان والحدائق الزاهية الزاهرة، والرياض

(١) تفسير ابن جرير (٦/ ٤٥٤).
(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٧٥).
(٣) تفسير ابن جرير (٦/ ٤٦٥).
(٤) تفسير السعدي (٣٠٨).
(٥) تفسير ابن جرير (٦/ ٤٥٦).

الفاخرة[١].

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾، لابثين فيها.

﴿ أَبَدًا ﴾ لا يموتون، فيها ولا يخرجون منها[٢]، لا يبغون عنها حولاً، ولا يطلبون منها بدلاً، لأنهم مهما تمنوه أدركوه، ومهما أرادوه وجدوه [٣].

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الذي حصل لهم فيه كل محبوب للنفوس، ولذة للأرواح، ونعيم للقلوب، وشهوة للأبدان، واندفع عنهم كل محذور[٤].

دلالة الآية على فضل الصحابة:

قال ابن كثير رحمه الله: فقد أخبر الله العظيم، أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم، أو أبغض أو سب بعضهم.

---

(١) تفسير السعدي (٣٠٨).
(٢) تفسير ابن جرير (٦/ ٤٥٦).
(٣) تفسير السعدي (٣٠٨).
(٤) تفسير السعدي (٣٠٨).

ثم قال: وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدعون، ولهذا هم حزب الله المفلحون، وعباده المؤمنون(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان(٢).

وقال الشنقيطي رحمه الله: ولا يخفى أنه تعالى صرح في هذه الآية الكريمة، أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويبغضهم أنه ضال مخالفٌ لله جل وعلا حيث أبغض من رضي الله عنهم، ولا شك أن بغض من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا، وتمرد وطغيان(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٧٠٠).

(٢) الصارم المسلول (٥٤٤).

(٣) أضواء البيان (٢/ ٤٢٤).

وتأمل هذه الآية الكريمة، ترى فيها عظيم الرضى، وحسن العاقبة، وهذا هو الفوز العظيم، لأولئك الصحب الكرام ﷺ، ولمن سلك سبيلهم واستن بسنتهم.

قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم، والنعيم المقيم(١).

الموضع الثاني: قال الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

نقولات من تفاسير العلماء:

يقول تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالله ورسوله ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٦٩٩).

(٢) تفسير ابن جرير (١٠/ ٢٧٩).

فهؤلاء هم الرجال على الحقيقة، ومن عداهم فصورهم صور رجال وأما الصفات فقد قصرت عن صفات الرجال[١].

﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾ فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره لله، وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعضٌ يوم بدر، وبعض يوم أحد، وبعض في غير ذلك من المواطن.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ قضاءه والفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوه[٢]، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نحبه ولما يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك مجد[٣] كعثمان بن عفان وطلحة والزبير وأمثالهم، فإنهم مستمرون في الوفاء بما عاهدوا الله عليه، من الثبات مع رسول الله ﷺ، والقتال لعدوه، ومنتظرون لقضاء حاجتهم، وحصول أمنيتهم بالقتل، وإدراك الشهادة[٤].

---

(١) تفسير السعدي (٦٠٩).
(٢) تفسير ابن جرير (١٠/ ٢٧٩).
(٣) تفسير السعدي (٦٠٩).
(٤) فتح القدير (٤/ ٣٥٦).

﴿ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴾ ما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله ﷺ، كما غير المنافقون عهدهم، بل ثبتوا عليه ثبوتًا مستمرًا، أما الذين قضوا نحبهم فظاهر، وأما الذين ينتظرون قضاء نحبهم، فقد استمروا على ذلك حتى فارقوا الدنيا ولم يغيروا، ولا بدلوا[١].

﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ إنما يختبر الله عباده بالخوف والزلازل ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر أمر هذا بالفعل، وأمر هذا بالفعل، مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم، حتى يعملوا بما يعلمه فيهم، ولهذا قال ههنا: ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه، وقيامهم به، ومحافظتهم عليه.

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ وهم الناقضون لعهد الله المخالفون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا، إن شاء استمر بهم على ما فعلوه حتى يلقوه به فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب

(١) المصدر السابق.

عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان، ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه، قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[١] ختم الآية باسمين دالين على المغفرة والفضل والإحسان[٢] يقول: إن الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين، رحيمًا بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة[٣].

دلالة الآيتين على فضل الصحابة ﷺ:

في هاتين الآيتين، أبين دلالة على صدق الصحابة مع الله تعالى، ووفائهم بما عاهدوا الله عليه، ومواقفهم في ذلك كثيرة معلومة، في السلم والحرب، وفي السرَّاء والضرَّاء، وفي الإقامة والسفر.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال وقتل الآباء

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٩٦).
(٢) تفسير السعدي (٦٠٩).
(٣) تفسير ابن جرير (١٠/ ٢٨٢).

والأولاد، والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم كافة أفضل من جميع المعدلين والمزكين، الذين يجيئون بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء ومن يُعتد بقوله من الفقهاء[١].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله عليهم به من الفضائل، علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان، ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم، وأكرمها على الله عز وجل[٢].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً

---

(١) الكفاية في علم الرواية (٦٦).

(٢) العقيدة الواسطية بشرح الشيخ محمد خليل هراس (٢٥٠).

وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

نقولات من تفاسير العلماء:

يخبر تعالى عن محمد - صلوات الله وسلامه عليه - أنه رسوله حقًا بلا شك ولا ريب فقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾، وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل[١].

ابتداء وخبر استوفى فيه تعظيم منزلة النبي ﷺ[٢]، ثم ثنى بالثناء على أصحابه[٣] بأكمل الصفات وأجل الأحوال[٤]، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم. ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم[٥]. فيظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة، ولمن وافقه الرحمة والرأفة[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٥٨).
(٢) المحرر الوجيز (٥/ ١٤٠).
(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٥٨).
(٤) تفسير السعدي (٧٣٩).
(٥) تفسير ابن جرير (١١/ ٣٦٩).
(٦) فتح القدير (٥/ ٧٢).

وهذه صفة المؤمنين، أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا على الكفار رحيمًا برًّا بالأخيار، غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر، ضحوكًا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن[١]، ومن حق المسلمين في كل زمان، أن يراعوا هذا التشدد، وهذا التعطف، فيتشددوا على من ليس من ملتهم ودينهم، ويتحاموه، ويعاشروا إخوتهم في الإسلام، متعطفين بالبر والصلة، وكف الأذى والمعونة، والاحتمال والأخلاق السجيحة[٢]؛ فلذلك ذلّ أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون[٣].

﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ وصفهم بكثرة العمل، وكثرة الصلاة وهي خير العمل التي أجل أركانها الركوع والسجود، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله، وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه تعالى

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٥٨).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٣٨)، والسُّجُح: بضمتين: اللين السهل. والأسجح: الحسن المعتدل. والسجحة والسجيحة والمسجوحة والمسجوح: الخلق. انظر: القاموس المحيط (٢٢٣).

(٣) تفسير السعدي (٧٣٩).

عنهم، وهو أكبر من الأول، كما قال تعالى: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[١] [التوبة: ٧٢] ، ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾، تعددت أقوال المفسرين في صفة هذه السيما وهل يكون ذلك في الدنيا أم في الآخرة؟

قال ابن جرير رحمه الله: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله - تعالى ذكره - أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف، صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخص ذلك على وقت دون وقت، وإذا كان ذلك كذلك، فذلك على كل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا، أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرة في الوجه، والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجه من أثر السجود[٢].

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ما تقدم من هذه الصفات الجليلة[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٥٨).
(٢) تفسير ابن جرير (١١/ ٣٧٢).
(٣) فتح القدير (٥/ ٧٣).

﴿ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ هذه الصفة التي وصفت لكم من صفة أتباع محمد ﷺ الذين معه، صفتهم في التوراة[1].

وقال مالك: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام، يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا.

قال ابن كثير: وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله بذكرهم في الكتب المنزلة، والأخبار المتداولة[2].

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾ وصفتهم في إنجيل عيسى - عليه الصلاة والسلام - ، صفة زرع أخرج شطأه، وهو فراخه، وإنما مثلهم بالزرع المشطئ، لأنهم ابتدءوا في الدخول في الإسلام، وهم عدد قليلون، ثم جعلوا يتزايدون، ويدخل فيه الجماعة بعدهم، ثم الجماعة بعد الجماعة، حتى كثر عددهم، كما يحدث في أصل الزرع الفرخ منه، ثم الفرخ بعده، حتى يكثر وينمي[3]؟ فكان هذا من أصح

(١) تفسير ابن جرير (١١/ ٣٧٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٥٩).
(٣) تفسير ابن جرير (١١/ ٣٧٢).

مثل، وأقوى بيان[١].

﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ قواه وأعانه وشده، أي قوى الشطء الزرع، وقيل: بالعكس، أي: قوى الزرع الشطء[٢].

﴿ فَٱسْتَغْلَظَ ﴾ شب وطال[٣]، ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ على عوده الذي يقوم عليه، فيكون ساقًا له، والسوق: جمع ساق[٤].

﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ يعجب هذا الزراع زراعه لقوته وحسن منظره[٥] كذلك الصحابة ﷺ، هم كالزرع في نفعهم للخلق، واحتياج الناس إليهم، فقوة إيمانهم وأعمالهم، بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق، ووازره، وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه، كالزرع الذي أخرج شطأه، فآزره فاستغلظ[٦].

---

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ١٩٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٥٩).

(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ١٩٤).

(٥) فتح القدير (٥/ ٧٤).

(٦) تفسير السعدي (٧٤٠).

﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ فعل الله عز وجل ذلك بمحمد ﷺ وأصحابه ليغيظ بهم الكفار[١]، حين يرون اجتماعهم، وشدتهم على أعداء دينهم، وحين يتصادمون معهم في معارك النزال، ومعامع القتال[٢].

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ فالصحابة ﷺ الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة - التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة - والأجر العظيم في الدنيا والآخرة[٣]، ووعد الله حق وصدق، لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، - رضي الله عنهم وأرضاهم - ، وجعل جنات الفردوس مثواهم، وقد فعل[٤].

---

(١) تفسير ابن جرير (١١/ ٣٧٥).

(٢) تفسير السعدي (٧٤٠).

(٣) تفسير السعدي (٧٤٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٥٩).

دلالة الآيتين على فضل الصحابة ﷺ:

دلت الآيتان الكريمتان على عظيم الفضل للصحب الكريم ﷺ وبيان ذلك من عدة وجوه:

١ - فضيلة الصحبة التي سبقوا بها الأمة، وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾.

٢ - ثناء الله عز وجل عليهم، قال ابن كثير رحمه الله ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم[١].

وقال القرطبي رحمه الله: وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومآل أمرهم[٢].

٣ - في الآية الأولى شهادة الله عز وجل للصحابة ﷺ بإخلاصهم، وهو الخبير العليم بهم.

قال ابن كثير رحمه الله: فالصحابة ﷺ خلصت نياتهم، وحسنت أعمالهم[٣].

٤ - وفي الآية الأولى بيان صلاح بواطنهم وظواهرهم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٥٩).
(٢) تفسير القرطبي (١٦/ ١٩٥).
(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٥٩).

قال السعدي رحمه الله: لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت بالجلال ظواهرهم[١].

وقال ابن كثير رحمه الله: فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم[٢].

٥ - عظم شأن الصحابة ﷺ: إذ وصفهم الله عز وجل في أعظم كتبه، وضرب لهم المثل فيما تقدم من كتبه المنزلة التوراة والإنجيل.

٦ - تضمنت هاتان الآيتان أن الصحابة ﷺ أولياء الله تعالى، وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة[٣].

٧ - قيامهم بحق الله تعالى، وحقوق عباده، وذلك واضح في الآية الأولى.

٨ - جميل حالهم في الدنيا، وحسن مآلهم في الآخرة.

---

(١) تفسير السعدي (٧٣٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٥٩).
(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ١٩٧).

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

نقولات من تفاسير العلماء:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أنفقوا ولا تخشوا فقرًا وإقلالاً، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض، وبيده مقاليدهما، وعنده خزائنهما، وهو مالك العرش بما حوى[١]، وأي شيء يمنعكم في الإنفاق في ذلك الوجه، والحال أن كل ما في السموات والأرض راجع إلى الله سبحانه، بانقراض العالم، كرجوع الميراث إلى الوارث، ولا يبقى لهم منه شيء[٢]، وهذا من أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٢٩).
(٢) فتح القدير (٥/ ٢١٩).
(٣) الكشاف (٤/ ٤٦٢).

﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ لا يستوي هذا، ومن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدًا، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهورًا عظيمًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا[١]، ولهذا قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ﴾ أي أرفع منزلة وأعلى رتبة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله من بعد الفتح، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ[٢].

ولما كان التفضيل بين الأمور، قد يتوهم منه نقص، وقدح في المفضول احترز تعالى من هذا بقوله: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي الذين أسلموا، وقاتلوا، وأنفقوا من قبل الفتح، وبعده كلهم وعده الله الجنة[٣].

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح، وقاتل، ومن فعل ذلك بعد ذلك[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٢٩).
(٢) فتح القدير (٥/ ٢١٩).
(٣) تفسير السعدي (٧٧٩).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٣١).

دلالة الآية على فضل الصحابة ﷺ:

في هذه الآية شهادة الله عز وجل للصحابة ﷺ بالإنفاق والقتال في سبيل الله، سواء في ذلك من أنفق من قبل الفتح أو بعده، والجميع موعودون بالجنة، وفي ذلك دلالة على صلاح عملهم، وحسن منقلبهم ﷺ.

قال السعدي رحمه الله: وهذا يدل على فضل الصحابة كلهم ﷺ حيث شهد الله لهم بالإيمان ووعدهم بالجنة[1].

الموضع الخامس: وقول الله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

---

(١) تفسير السعدي (٧٧٩).

نقولات من تفاسير العلماء:

في الآية الأولى مدح الله عز وجل المهاجرين وأثنى عليهم، فقال: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ الذين هاجروا إلى رسول الله ﷺ رغبة في الدين ونصرة له[١]، وهجروا المحبوبات والمألوفات من الديار والأوطان والأحباب والخلان والأموال، رغبة في الله ومحبة لرسول الله ﷺ[٢].

وقد أسند ابن جرير عن قتادة قوله: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حبًا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه، ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء وما له دثار غيرها[٣].

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ أي أن كفار مكة أخرجوهم منها واضطروهم إلى الخروج[٤].

(١) فتح القدير (٥/ ٢٦٠).
(٢) تفسير السعدي (٧٨٩).
(٣) تفسير ابن جرير (١٢/ ٣٩).
(٤) فتح القدير (٥/ ٢٦٠).

﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ فيطلبون منه أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا، ﴿ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾ في الآخرة[١].

﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ وينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمدًا ﷺ[٢]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ الكاملون في الصدق والراسخون فيه[٣] الذين صدقوا قولهم بفعلهم[٤] فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة، والعبادات الشاقة، بخلاف من ادعى الإيمان، وهو لم يصدقه بالجهاد والهجرة وغيرهما من العبادات[٥].

وفي هذه الآية يجمع صدق اللسان وصدق الأفعال؛ لأن أفعالهم في أمر هجرتهم إنما كانت وفق أقوالهم[٦]، ثم لما فرغ من مدح المهاجرين مدح الأنصار فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ

(١) المصدر السابق.
(٢) تفسير ابن جرير (١٢/ ٣٩).
(٣) فتح القدير (٥/ ٢٦١).
(٤)تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٧٩).
(٥)تفسير السعدي (٧٨٩).
(٦) المحرر الوجيز (٥/ ٢٨٧).

وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ المراد بالدار المدينة، وهي دار الهجرة، ومعنى تبوئهم الدار والإيمان، أنهم اتخذوها مباءة - أي تمكنوا منها تمكنًا شديدًا - ، والتَّبوُّؤ في الأصل إنما يكون للمكان، ولكنه جعل الإيمان مثله لتمكنهم فيه تنزيلاً للحال منزلة المحل[١]، وبهذا الاقتران يصح معنى قوله: ﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ فتأمله، وهذا من بليغ الكلام[٢].

وهؤلاء الأنصار من الأوس والخزرج الذين آمنوا بالله ورسوله طوعًا ومحبة واختيارًا، وآووا رسول الله ﷺ، ومنعوه من الأحمر والأسود، وتبوءوا دار الهجرة والإيمان حتى صارت موئلاً ومرجعًا يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماه المسلمون، إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشر، فلم يزل أنصار الدين يأوون إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام، وقوي وجعل يزداد شيئًا فشيئًا، حتى فتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، والبلدان بالسيف والسنان الذين من جملة أوصافهم الجميلة، أنهم ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ

---

(١) فتح القدير (٥/ ٢٦١).

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٢٨٧).

إِلَيْهِمْ ﴾ ، وهذا لمحبتهم لله ورسوله، أحبوا أحبابه وأحبوا من نصر دينه[١]، وعنى بذلك الأنصار يحبون المهاجرين[٢] ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ لا يجدون في أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف، والتقديم في الذكر والرتبة[٣]، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها، ويدل ذلك على أن المهاجرين أفضل من الأنصار لأن الله قدمهم بالذكر، وأخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار ولا غيرهم، ولأنهم جمعوا بين النصرة والهجرة[٤].

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ من أوصاف الأنصار الذين فاقوا بها غيرهم وتميزوا بها عمن سواهم الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود[٥]، وهو تقديم الغير

(١) تفسير السعدي (٧٨٩).
(٢) تفسير ابن جرير (١٢/ ٣٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٨٠).
(٤) تفسير السعدي (٧٨٩).
(٥) المصدر السابق.

على النفس وحظوظها الدنيوية، ورغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة والصبر على المشقة[١].

فالأنصار يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم، يبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك، وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أفضل الصدقة جهد المقل**»[٢].

وهذا المقام أعلى من حال من وصف الله بقوله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [الإنسان: ٨] فإن هؤلاء يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه، ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه[٣]، ومن ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ١٨).

(٢) جاء في أن أفضل الصدقة جهد المقل من عدة من الصحابة ﷺ مرفوعًا، فمن ذلك ما رواه أبو داود، كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك (٢/ ١٣٢) عن أبي هريرة ﷺ، أنه قال: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل، وابدأ بمن تعول» وهو حديث صحيح، وله شواهد، انظر: السلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله، حديث رقم (٥٦٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٨١).

بسببه[١]، فقد أخرج البخاري ومسلم[٢] عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهن شيئًا، فقال النبي ﷺ: «ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله»، فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ، ألا تدخريه شيئًا؟ فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي، فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ، فقال: لقد عجب الله عز وجل[٣]، أو ضحك من فلان وفلانة، وأنزل الله عز

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: هذا هو الأصح في سبب نزول هذه الآية، فتح الباري (٧/ ١٥٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب (ويؤثرون على أنفسهم) فتح الباري (٨/ ٥٠٠)، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، شرح النووي (١٤/ ١١).

(٣) فائدة: صفة العجب: ثابتة لله عز وجل وكذا الضحك على ما يليق بجلاله وعظمته، وقد كان بعض أهل العلم يختار قراءة ابن مسعود ﷺ في قوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾، فيقرأها بالضم إمعانًا في مخالفة الجهمية، قال الحافظ ابن حجر: ونقل ابن أبي حاتم في كتاب: الرد

وجل: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[١].

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ رتب الفلاح على عدم شح النفس بشيء من الأشياء التي يقع الشح بها شرعًا، من زكاة أو صدقة أو صلة رحم أو نحو ذلك كما تفيده إضافة الشح إلى النفس، والفلاح: الفوز والظفر بكل مطلوب[٢].

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ هذه الآية شاملة لمن جاء بعد السابقين من الصحابة المتأخر إسلامهم في عصر النبوة،

=

على الجهمية) عن محمد بن عبد الرحمن المقرئ ولقبه: مت، قال: وكان يفضل على الكسائي في القراءة أنه قال: يعجبني أن أقرأ قبل عجبت، بالضم خلافًا للجهمية، فتح الباري (٨/ ٢١٦).

(١) فائدة: قال ابن مفلح: فيه أن من سئل شيئًا قام به إن أمكنه وإلا سأل له لكن ليس في الخبر سؤال معين، وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من الزهد في الدنيا والتقلل منها، وفيه الاحتيال والتلطف بإكرام الضيف على أحسن الوجوه، والخبر محمول على أنه لم يكن بالأنصاري وأولاده حاجة إلى الأكل بحيث يحصل الضرر بتركه وإلا لوجب تقديمهم شرعًا على حق الضيف، وفيه الإيثار ممن لم يتضرر بأمور الدنيا، الآداب الشرعية (٣/ ١٨٩).

(٢) فتح القدير (٥/ ٢٦٢).

ومن تبعهم من المسلمين بعد عصر النبوة إلى يوم القيامة، لأنه يصدق على الكل أنهم جاءوا بعد المهاجرين الأولين والأنصار[١].

فوصف الله تعالى القول الذي ينبغي أن يلتزمه كل من لم يكن من الصدر الأول[٢].

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ المراد بالأخوة هنا أخوة الدين، أمرهم الله أن يستغفروا لأنفسهم ولمن تقدمهم من المهاجرين والأنصار[٣].

﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي غشًا وبغضًا وحسدًا[٤] وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين من السابقين من الصحابة ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان، أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان، المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين، التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض،

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٢٨٨).
(٣) فتح القدير (٥/ ٢٦٢).
(٤) المصدر السابق.

وأن يحب بعضهم بعضًا، ولهذا ذكر الله في هذا الدعاء، نفي الغل عن القلب، الشامل لقليله وكثيره، الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين، فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان؛ لأن قولهم: ﴿ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ دليل على المشاركة فيه، وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة، الذي لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم، ووصفهم بالإقرار بالذنوب والاستغفار منها، واستغفار بعضهم لبعض واجتهادهم في إزالة الغل والحقد لإخوانهم المؤمنين لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، ومتضمن لمحبة بعضهم بعضًا، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، وأن ينصح له حاضرًا وغائبًا، حيًّا وميتا، ودلت الآية الكريمة على أن هذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض، ثم ختموا دعاءهم باسمين كريمين دالين على كمال رحمة الله، وشدة رأفته وإحسانه بهم[1].

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ كثير الرأفة والرحمة بليغهما

---

(١) تفسير السعدي (٧٩٠).

لمن يستحق ذلك من عبادك[١].

دلالة الآيات على فضل الصحابة ﷺ:

في الآيات الثلاث، أثنى الله عز وجل على الصحابة كلهم من المهاجرين والأنصار، ومن أسلم بعدهم من بقية الصحابة وغيرهم إلى يوم الدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فهذه الآية والتي قبلها تتناول من دخل فيها بعد السابقين الأولين إلى يوم القيامة، فكيف لا يدخل فيها أصحاب رسول الله ﷺ الذين آمنوا به وجاهدوا معه[٢].

ودائرة الثناء في هذه الآيات يخرج منها من لم يسلك سبيل الصحابة في الإيمان ويدع لمن سبقه من المؤمنين، ويسلم قلبه من الغل لهم.

قال ابن العز الحنفي رحمه الله: وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من

(١) فتح القدير (٥/ ٢٦٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٤٦٣).

بعدهم، يستغفرون لهم، ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء هم المستحقون للفيء، فمن كان في قلبه غل للذين آمنوا ولم يستغفر لهم، لا يستحق في الفيء نصيبًا بنص القرآن[١].

وهذه الآيات توضح ما سبق به الصحابة من الفضائل وحازوه من المكارم، وبهذا يتبين أن طريقتهم هي الطريقة المثلى، ومنزلتهم هي المنزلة العليا بعد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

قال السعدي رحمه الله: فهذان الصنفان الفاضلان الزكيان، هم الصحابة الكرام، والأئمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب، ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين، وحسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم، ويأتم بهداهم»[٢].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٤٦٧).

(٢) تفسير السعدي (٧٩٠).

المبحث الثاني

طرف من أقوال النبي ﷺ في فضلهم[١] مع شذارت من تعليقات العلماء عليها

قد صح عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة، فيها الثناء عليهم، وبيان علوّ منزلتهم، وأنهم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وهذه الأحاديث مستفيضة بل متواترة في فضائل الصحابة، والثناء عليهم، وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون، فالقدح فيهم قدح في القرآن والسنة[٢].

---

(١) فائدة: وهي تدل على ما دل عليه الكتاب العزيز، وهكذا السنة الصحيحة كلها، مبينة للقرآن الكريم مفسرة له، فلا تخرج عن محيطه؛ قال ابن القيم رحمه الله: وكان الصحابة ﷺ أحرص شيء على استنباط أحاديث رسول الله ﷺ من القرآن، ومن ألزم نفسه ذلك وقرع بابه، ووجه قلبه إليه، واعتنى به بفطرة سليمة، وقلب ذكي رأى السنة كلها تفصيلاً للقرآن، وتبيانًا لدلالته، وبيانًا لمراد الله منه، وهذا أعلى مراتب العلم فمن ظفر به فليحمد الله، ومن فاته فلا يلومن إلا نفسه وهمته وعجزه. زاد المعاد (٥/ ١٢٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٤٣).

وإذا عرفت ذلك، فإن فيما ثبت عن النبي ﷺ غنية عن الضعيف، من الأحاديث التي تناقلها كثير من الناس في هذا الباب، ومن أشهرها على شدة ضعفه، ما يُروى عنه ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[(١)].

والقصد التنبيه على أن ما في كتاب الله عز وجل، وفيما ثبت عنه ﷺ كفاية عن تلمس الضعيف والموضوع من الأخبار المروية عن النبي ﷺ، وإليك جملة مما ثبت عنه ﷺ في هذا الباب:

الحديث الأول: عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا - «**ثم إن بعدكم قرنًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون، ولا يؤتمنون، وينذرون، ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**»[(٢)].

---

(١) راجع ما كتبه العلامة الألباني رحمه الله في الأحاديث الضعيفة والموضوعة (رقم ٥٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أصحاب النبي ﷺ، واللفظ له، انظر فتح الباري (٧/ ٥). ومسلم،

الحديث الثاني: عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»[١].

الحديث الثالث: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم - والله أعلم أذكر الثالث أم لا؟ - قال: ثم يخلف قوم يحبون السمانة، يشهدون قبل أن يستشهدوا**»[٢].

قال النووي رحمه الله: اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ، والمراد أصحابه[٣].

=

كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، انظر شرح النووي (١٦/ ٨٧).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أصحاب النبي ﷺ، واللفظ له، انظر فتح الباري (٧/ ٥). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم شرح النووي (١٦/ ٨٤).

(٢)صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم شرح النووي (١٦/ ٨٦).

(٣) فتح الباري (٧/ ٨).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: المراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة[١].

والقرن الثاني هم التابعون، والثالث تابعوهم[٢].

وقد قرر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن مقدار القرن بالسنين، يختلف باختلاف أعمار أهله، فقال: وقد ظهر أن الذي بين البعثة، وآخر من مات من الصحابة مائة وعشرون سنة، أو دونها أو فوقها بقليل على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل، وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته ﷺ فيكون مائة سنة أو تسعين أو سبعًا وتسعين، وأما قرن التابعين، فإن اعتبر من سنة مائة، كان نحو سبعين أو ثمانين، وأما الذين بعدهم، فإن اعتبر منها كان نحوًا من خمسين، فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان، والله أعلم.

واتفقوا على أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله، من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت

(١) شرح مسلم (١٦/ ٨٤).
(٢) شرح مسلم (١٦/ ٨٥).

الفلاسفة رءوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن، وظهر قوله ﷺ: «ثم يفشوا الكذب»، ظهورًا بينًا، حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات، والله المستعان[١].

الحديث الرابع: عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - ، قال: حدثنا أبو سعيد الخدري ﷺ[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي على الناس زمان فيغزو فئام[٣] من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ، فيقولون له: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم، فيفتح له، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟**

(١) فتح الباري (٧/ ٨).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: وهو من رواية صحابي عن صحابي، فتح الباري (٧/ ٧).

(٣) ضبطها النووي بفاء مكسورة، ثم همزة، أي: جماعة. قال: وحكى القاضي فيها الياء مخففة بلا همز، ولغة أخرى، فتح الفاء، حكاها عن الخليل والمشهور الأول شرح مسلم (١٦/ ٨٣).

فيقولون: نعم فيفتح لهم»[١].

قال النووي رحمه الله: في هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ، وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم[٢].

الحديث الخامس: عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنهما، قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا فقال: **«ما زلتم ههنا»**، قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: **«أحسنتم أو أصبتم»**، قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: **«النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»** أخرجه مسلم[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أصحاب النبي ﷺ، واللفظ له، انظر: فتح الباري (٧/ ٦). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، انظر: شرح مسلم (١٦/ ٨٣).

(٢) شرح مسلم (١٦/ ٨٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب بيان أن بقاء النبي

قال النووي رحمه الله: ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم، وتناثرت في القيامة، وهنت السماء، فانفطرت، وانشقت، وذهبت، وقوله ﷺ: «**وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون**» أي: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحًا، وقد وقع كل ذلك. قوله ﷺ: «**وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**» معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين، والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ[1].

قلت: في هذا الحديث فضل ظاهر للصحابة ﷺ، إذ في بقائهم أمان للأمة من الشرور والفتن المضرة بالدين والدنيا معًا.

=

ﷺ أمان لأصحابه وأصحابه أمان للأمة شرح مسلم (١٦/ ٨٢).

(١) شرح مسلم (١٦/ ٨٣).

وهذا يدل على عملهم الدءوب، وسعيهم الحثيث، في المحافظة على الدين، وإقامة شرائعه، فساد الأمان، وعمت الطمأنينة، فلما ذهبوا وزالوا اختل هذا الأمان، وجرت أمور كثيرة مسطرة في كتب التاريخ. وما ذلك إلا لتغير الأحوال والأعمال والأقوال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

الحديث السادس: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق**[١] **مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**». أخرجه مسلم[٢] وهو عند البخاري[٣] بدون ذكر

(١) زاد البرقاني في المصافحة من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش: (كل يوم)، قال: وهي زيادة حسنة فتح الباري (٧/ ٤٢)، وقال الحافظ ابن حجر في جزء ألفه في طرق هذا الحديث: قال البرقاني: استحسنت قوله فيه (كل يوم) مع حسن إسناده (٦٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب تحريم سب الصحابة، شرح مسلم (١٦/ ٦٢).

(٣) صحيح البخاري،كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ: «لو

سبب قول النبي ﷺ.

قال النووي رحمه الله تعالى: ومعناه: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا، ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مدًّا ولا نصف مد، ثم قال: وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمايته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾ [الحديد: ١٠]. هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[١].

وهذه الفضيلة المذكورة في هذا الحديث عامة لجميع الصحابة ﷺ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ومع ذلك فنهي بعض من أدرك النبي ﷺ وخاطبه بذلك عن سب من سبقه

كنت متخذًا خليلاً» فتح الباري (٧/ ٢١).

(١) شرح مسلم (١٦/ ٩٣).

يقتضي زجر من لم يدرك النبي ﷺ ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب أولى[١].

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: والمقصود أنه نهى من له صحبة آخرًا، أن يسب من له صحبة أولاً، لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه. فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة، فكيف حال من ليس من الصحابة بحال مع الصحابة؟ - رضي الله عنهم أجمعين -[٢].

وقال السفاريني: (وهذا وإن ورد على سبب، وهو ما جرى بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد - رضي الله عنهما - فالعبرة بعموم اللفظ، ولا ينافي ذلك كون الخطاب لأصحابه، فإن المراد لا يسب غير أصحابي أصحابي، وأصحابي لا يسب بعضهم بعضًا، فالمراد النهي عن حصول السبِّ لهم مطلقًا[٣].

---

(١) فتح الباري (٧/ ٤٢).

(٢) شرح الطحاوية (٤٦٨)

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٧٧).

الفصل الثاني

حقوق الصحابة ﷺ

لقد قام الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - بمؤازرة رسول الله ﷺ ونصرته في تبليغه دين الله تعالى للعباد، ولم يزالوا على ذلك حتى جاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وبعد قيام النبي ﷺ بتبليغ الرسالة رحل عن هذه الحياة، وقد أقرّ الله تعالى عينه بالفتح المبين، وإظهار الدين، وهو في ذلك راض عن صحابته لقاء ما قدموا من أموالهم وأنفسهم في سبيل الله تعالى، ثم لم يزالوا ﷺ على العهد قائمين، فكبتوا الردة، ونشروا الملة، وافتتحوا بلاد الدنيا شرقًا وغربًا، وهم مع ذلك يعلّمون الجاهل، ويرشدون الضال، وصار كل واحد منهم إمام قطر، وعالم بلد، (فهؤلاء برك الإسلام، وعصابة الإيمان، وأئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وأنصح الأمة للأمة وأعلمهم بالأحكام وأدلتها، وأفقههم في دين الله، وأعمقهم علمًا، وأقلهم تكلفا، وعليهم دارت الفتيا، وعنهم انتشر العلم، وأصحابهم هم فقهاء الأمة، ومنهم من كان مقيمًا بالكوفة كعلي وابن مسعود، وبالمدينة كعمر بن الخطاب وابنه وزيد بن

ثابت، وبالبصرة كأبي موسى الأشعري، وبالشام كمعاذ بن جبل ومعاوية بن أبي سفيان وبمكة كعبد الله بن عباس وبمصر كعبد الله بن عمرو بن العاص، وعن هذه الأمصار انتشر العلم في الآفاق)[١] وبذلك قاموا بواجب التبليغ، حتى ختم آخرهم حياته - أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي - وقد أدوا ما عليهم، وبقي ما لهم من حقوق على الأمة.

قال أبو بكر الخلال رحمه الله: أخبرني عبد الملك الميموني، قال: سمعت هارون بن معروف، يقول: ما بيننا وبين أصحاب محمد عليه السلام إلا خير قاتلوا على دين الله عز وجل، ما ينبغي ههنا إلا الشكر لله عز وجل، ثم لمحمد ﷺ، ثم لأصحابه ﷺ[٢]، وإليك الآن شيئًا من حقوقهم ﷺ:

الحق الأول: سلامة القلب من الغلّ لهم ﷺ.

وهذا الحق أصل أصيل من أصول أهل السنة والجماعة يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي

(١) أعلام الموقعين (١/ ٦٨).
(٢) أخرجه الخلال في كتاب السنة (٢/ ٤٧٩).

قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

قال الشوكاني رحمه الله: عند تفسيره هذه الآية: فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أوليًا، لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، ثم قال: فإن وجد في قلبه غلاً لهم، فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحلّ به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه ﷺ، وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم، إن لم يتدارك نفسه باللجوء إلى الله سبحانه والاستغاثة به، بأن ينزع عن قلبه ما طرقه من الغلّ لخير القرون وأشرف هذه الأمة(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢)[الحشر: ١٠].

(١) فتح القدير (٥/ ٢٦٢).

(٢) العقيدة الواسطية بشرح محمد خليل هراس (٢٣٦).

وكيف يكون في قلب مسلم شيء من الغل لهم أو لأحد منهم، وهو يؤمن بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، وفيهما من الثناء عليهم والمدح لهم الشيء الكثير، كما تقدم بعض ذلك من الآيات والأحاديث.

إن واجب الإيمان بالكتاب والسنة يقضي بانتفاء أي غلّ لذلك الجيل المزكى، بل يوجب أمورًا أكثر من ذلك كما سيأتي.

الحق الثاني: السكوت عما جرى بينهم، وتطهير الألسنة من ذكر القدح فيهم(١): وهذا الحق يشتمل على حقين كما ترى، وسبب جمعهما أن الأخير ناشئ في الغالب عن الأول، إذ

---

(١) فائدة: أورد الذهبي حادثة من طريق أبي سعيد السمعاني بسنده عن القاضي أبي الطيب قال: كنا في مجلس النظر بجامع المنصور، فجاء شاب خراساني، فسأل عن مسألة المصراة، فطالب بالدليل حتى استدل بحديث أبي هريرة الوارد فيها. فقال: - وكان حنفيًا - أبو هريرة غير مقبول الحديث. فما استتم كلامه حتى سقط عليه حية عظيمة من سقف الجامع، فوثب الناس من أجلها، وهرب الشاب منها، وهي تتبعه. فقيل له: تب، تب. فقال: تبت. فغابت الحية، فلم يُر لها أثر. قال الذهبي: إسنادها أئمة. سير أعلام النبلاء (٢/ ٦١٨).

أن كثيرًا من الناس يقدح في بعض الصحابة بسبب خوضه فيما جرى بينهم وكلا الأمرين ممنوع.

وإليك تأصيل ذلك من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم:

تقدم جملة من أدلة الكتاب الدالة على تزكية الصحابة بما فيه كفاية وراجع في ذلك الفصل الأول من هذا الكتاب، كما تقدم أيضًا في ذلك شيء من أدلة السنة الصحيحة الصريحة، ومن أصرحها في المقصود حديث أبي سعيد المخرج في الصحيحين في نهيه ﷺ عن سب أصحابه.

وقد نص أهل الاعتقاد في كتبهم على أن من طريقة السلف الصالح أهل السنة والجماعة السكوت عما جرى بينهم، وتطهير الألسنة من ذكر القدح فيهم، وهذه قطوف من كلماتهم المسطرة في كتبهم:

قال أبو عثمان الصابوني رحمه الله في بيان معتقد أصحاب الحديث: ويرون الكفّ عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم[١].

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٠٧).

وذكر الموفق ابن قدامة رحمه الله في معتقده أن من السنة: والكف عن ذكر مساوئهم، وما شجر بينهم[١].

وقال النووي رحمه الله: واعلم أن سبّ الصحابة ﷺ حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيانه لمعتقد أهل السنة والجماعة: ويمسكون عما شجر بين الصحابة[٣].

وقال الذهبي رحمه الله: وقد كان بين الطائفتين من أهل صفين ما هو أبلغ من السب؛ السيف فإن صح شيء، فسبيلنا الكف والاستغفار للصحابة، ولا نحب ما شجر بينهم، ونعوذ بالله منه[٤].

وقال السعدي رحمه الله: ونمسك عما شجر بينهم[٥].

---

(١) لمعة الاعتقاد (١٥٠).
(٢) شرح صحيح مسلم (١٦/ ٩٣).
(٣) العقيدة الواسطية بشرح محمد خليل هراس (٢٤٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩).
(٥) سؤال وجواب في أهم المهمات ضمن المجموعة الكاملة (٣/ ٧٠).

فقد أطبق علماء ملة الإسلام على هذا الأصل الأصيل من معتقدهم، وضمنوه كتبهم المؤلفة فيه، فلله الحمد والمنة، على ما هدى به الأمة. هذا وإن الخوض فيما جرى بين بعض الصحابة ﷺ المؤدي إلى القدح فيهم، لا يتناول ذواتهم فحسب،بل له من الآثار السيئة العائدة على الدين، وعلى المبلغ له ﷺ، ومن هنا تعرف مدى خطورة ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول، قدح في الرسول عليه السلام كما قال مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ، إنما طعنوا في أصحابه، ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين[١].

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: ولا شك أنه يتطرق من سب الصحابة إلى سب أهل البيت، ثم إلى سب الرسول ﷺ[٢].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٤٢٩).
(٢) شرح الطحاوية (٤٩١).

ومن يتعرض للصحابة ﷺ، أو ينال من أحد منهم، فلا يخلو حاله من حالين:

١ - فإن كان يعتقد جواز ذلك، فهو مبتدع ضال، كسائر الضلال.

٢ - وإن كان يقر بتحريم ذلك فهذا ظالم، كمن قذف غيره واغتابه[1]، إلا أن ظلم هذا الساب أشد وأعظم، لكونه يتناول نقلة هذا الدين، ومبلغيه عن النبي ﷺ، فكل قدح فيهم، فهو في الحقيقة قدح في الدين الإسلامي.

والواجب على كل واحد من هذين القسمين: المبتدع والظالم، التوبة إلى الله تعالى، ومن تاب تاب الله عليه، ومن قال: إن توبة ساب الصحابة لا تقبل فقد أخطأ، لعموم قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

والقول بقبول توبتهم هو قول السلف الصالح، كما نقله

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٥٤١).

عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رحمه الله وأما ما يروى: «سب صحابتي ذنب لا يغفر». فقال شيخ الإسلام عنه: حديث باطل، لم يروه أحد من أهل العلم، ولو قدر صحته فالمراد به من لم يتب، فإن الله يأخذ حق الصحابة منه[٢].

وإذا تقرر ما تقدم، فما التوجيه الصحيح في التعامل مع ما جرى بين بعض الصحابة ﷺ من أمور، وما روي في ذلك من آثار؟.

وجواب هذا، في هذه النقاط الثلاث التي هي طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم فإنه لا يخلو ما ورد عن الصحابة ﷺ من أمور هي الآتية[٣]:

١ - أن تكون تلك الأخبار والروايات كذب مختلقة، لا

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٥٤١).
(٢) المصدر السابق. وعنه نقل الحكم بالوضع: ابن عراق الكناني في كتابه (تنزيه الشريعة) (١/ ٣٢٠)، والشيخ مرعي بن يوسف الكرمي في كتابه الفوائد الموضوعة (١١٩)، والشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة (٣٣٥).
(٣) انظر تقرير ذلك في العقيدة الواسطية بشرح محمد خليل هراس (٢٤٩)، وانظر منهاج السنة النبوية (٥/ ٨١).

أصل لها ولا أساس، فإنه لا يزال أهل الفتنة والضلال في كل عصر ومصر، يخترعون ويختلقون ما يؤجج الفتنة ويذكي نارها، وأسرع طريقة لذلك مع سهولتها بث الأخبار الكاذبة.

٢ - ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغير عن وجهه الصريح، حتى صار يقتضي ذمًّا وقدحًا، ولو نقح مما شابه من الزيادات الضعيفة، وسيق الخبر على وجهه الصحيح لما تحقق مقصود أهل البدع والضلال من الإزراء ببعض الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - .

٣ - والصحيح منه، هم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

قال النووي رحمه الله: وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها، وكلهم عدول ﷺ، ومتأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحدًا منهم عن العدالة؛ لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم.

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة أقسام:

قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغٍ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه، ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدته، وقتال الباغي عليه.

وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين، فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم؛ لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه، فكلهم معذورون ﷺ[1].

واقرأ هذه الكلمة الجامعة المختصرة للسفاريني رحمه الله:

---

(١) شرح مسلم (١٥/ ١٤٩).

فكل ما صح مما جرى بين الصحابة الكرام، وجب حمله على وجه ينفي عنهم الذنوب والآثام[١].

وإليك قاعدة يجب أن تتقرر في ذهن كل مسلم عند نظره فيما يصدر عن الصحابة ﷺ هي في النقاط التالية[٢]:

١ - أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، وذلك من نصرة النبي ﷺ بالمال والنفس، ومواقفهم في هذا مشهورة.

٢ - ثم إن الله تعالى يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: أنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به، كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم.

٣ - ثم إن كان قد صدر من أحدهم ذنب، فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه.

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٨٦).
(٢) الواسطية (٢٤٩) بتصرف.

٤ - وإن كان هذا التقعيد في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

وأختم الكلام في هذا الحق بكلمة للإمام المنصف محمد ابن أحمد الذهبي رحمه الله يتبين فيها طريقة أهل العلم والإيمان فيما شجر بين بعض الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - .

يقول فيها: فنحمد الله على العافية، الذي أوجدنا في زمان قد انمحص فيه الحق، واتضح من الطرفين، وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين، وتبصرنا، فعذرنا واستغفرنا، وأحببنا باقتصاد، وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة، أو بخطأ إن - شاء الله - مغفور، وقلنا كما علمنا الله: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الحشر: ١٠] وترضينا أيضًا عمن اعتزل الفريقين، كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعيد بن زيد، وخلق(١).

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٨).

وبعد: أفلا يسع بعض أهل زماننا السكوت، وتطهير الألسنة، كما وسع السلف الصالح - رضوان الله عليهم - الذين ائتمروا بأمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ.

الحق الثالث: معاقبة سابهم:

تقرر فيما سبق حرمة التعرض لهم بالسب والقدح، ولو كان ذلك لفرد واحد منهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فسب أصحاب رسول الله ﷺ حرام بالكتاب والسنة[١]. ثم ذكر شيئًا من أدلة الكتاب والسنة الدالة على ذلك.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن المتعرض لهم يستحق العقوبة الرادعة له ولأمثاله عن هذه المعصية، وهذا هو المتقرر عند السلف الصالح ﷺ.

قال اللالكائي رحمه الله: سياق ما روي عن السلف في أجناس العقوبات والحدود التي أوجبوها وأقاموها على من سب الصحابة[٢] ثم ذكر جملة من الآثار عن الصحابة والتابعين

---

(١) الصارم المسلول (٥٤٤).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ١٣٣٦).

في معاقبة سابّ الصحابة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهذا مما لا نعلم فيه خلافًا بين أهل الفقه والعلم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان وسائر أهل السنة والجماعة، فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والترحم عليهم، والترضي عنهم، واعتقاد محبتهم، وموالاتهم، وعقوبة من أساء فيهم القول[١].

وتختلف عقوبة الساب باختلاف نوع سبه، وقد فصل القول فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تفصيلاً حسنًا[٢]، وبيانه كما يلي:

١ - قسم لا شك في كفره مثل من اقترن بسبه دعوى أن عليًّا إله أو أنه كان هو النبي، وإنما غلط جبرائيل[٣] في الرسالة،

---

(١) الصارم المسلول (٥٥١).

(٢) المصدر السابق (٥٥٩).

(٣) فائدة: قال الحافظ ابن حجر: وفي جبريل لغات:
١ - فأهل الحجاز يقولون بكسر الجيم بغير همز، وعلى ذلك عامة القراء.

أو جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضًا في كفره، لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع، من الرضى عنهم، والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفارًا أو فساقًا، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا

---

٢ – وبنو أسد مثله لكن آخره نون.

٣ – وبعض أهل نجد وتميم وقيس يقولون: جبرئيل بفتح الجيم والراء بعدها همزة وهي قراءه حمزة والكسائي وأبي بكر وخلف واختيار أبي عبيد.

٤ – وقراءة يحيى بن وثاب وعلقمة مثله لكن بزيادة ألف.

٥ – وقراءة يحيى بن آدم مثله لكن بغير ياء.

٦ – وذكر عن الحسن وابن كثير أنهما قرآا كالأول لكن بفتح الجيم، وهذا الوزن ليس في كلام العرب فزعم بعضهم أنه اسم أعجمي.

٧ – وعن يحيى بن يعمر جبرئل بفتح الجيم والراء بعدها همزة مكسورة وتشديد اللام. فتح الباري (٨/ ١٦).

مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، والردة من موجبات القتل.

٢ - وقسم لا نحكم بكفره بمجرد سبه، وهذا مثل من سبهم سبًّا لا يقدح في عدالتهم، ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

٣ - وقسم ثالث هم محل الخلاف بين أهل العلم بين تكفيرهم وقتلهم، وبين عدم تكفيرهم مع تعزيرهم، وذلك لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد، وأقل ما فيه التعزير، لأنه مشروع في كلِّ معصية ليس فيها حد ولا كفارة[١].

الحق الرابع: اعتقاد فضلهم وعدالتهم

فنعتقد أنهم أفضل هذه الأمة وأعدلها بعد نبيها محمد ﷺ، تصديقًا لكتاب الله وطاعة لرسول الله ﷺ. إذ في الكتاب والسنة من ذلك ما يقطع به لسان كل عاذل.

---

(١) وانظر ذكر الخلاف مع أدلته في الصارم المسلول (٥٥١).

وقد مرّ بعض الآيات الصريحة في ذكر خصالهم الحميدة، كما أن رسول الله ﷺ قد أثنى على أصحابه ﷺ وذكر أنهم خير القرون وتقدم، فمن كان مؤمنًا بالله عز وجل وبكتابه المنزل، وبرسول الله ﷺ، وبما أوتي من حكمة فيتعين عليه اعتقاد فضل الصحابة وعدالتهم ﷺ.

قال الموفق ابن قدامة في ذكر معتقد أهل السنة: .. واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم[1].

وقال السفاريني: ولا يرتاب أحد من ذوي الألباب، أن الصحابة الكرام، هم الذين حازوا قصبات السبق، واستولوا على معالي الأمور من الفضل والمعروف والصدق[2].

وقال السعدي رحمه الله: والاعتراف بفضائلهم التي فاقوا فيها جميع الأمة، ثم قال: ونعتقد أنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة، وأسبقهم إلى كل خير وأبعدهم من كل شر وأنهم جميعهم عدول مرضيون[3].

---

(١) لمعة الاعتقاد (١٥٠).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٧٩).

(٣) سؤال وجواب في أهم المهمات ضمن المجموعة الكاملة (٣/ ٧٠).

ولا يؤثر ما جرى بين بعض الصحابة ﷺ من مخاصمات ومقاتلات في فضل وعدالة أحد منهم؛ لأنهم مجتهدون في ذلك كله، وتقدم تقرير ذلك في الحق الثاني بما فيه غنية وكفاية لمن أراد الحق والهداية.

ولذلك قال السفاريني: والحق الذي ليس عنه نزول أنهم كلهم - رضوان الله عليهم - عدول؛ لأنهم متأولون في تلك المخاصمات مجتهدون في هاتيك المقاتلات، فإنه وإن كان الحق على المعتمد عند أهل الحق واحد، فالمخطئ مع بذل الوسع وعدم التقصير مأجور لا مأزور[1].

ومع اعتقادنا الصحيح بفضلهم العظيم، وعدالتهم التامة، فإنهم بشر تجوز عليهم الذنوب كما تجوز على غيرهم، لكن من وقع له شيء من الذنب، فإنه مغفور له بإذن الله، وتقدم شيء من ذلك في الحق الثاني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيانه لمعتقد أهل السنة والجماعة: وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل تجوز عليهم

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٨٧).

الذنوب في الجملة[1].

وقال: والقاعدة الكلية في هذا أن لا نعتقد أن أحدًا معصوم بعد النبي ﷺ بل الخلفاء وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ، والذنوب التي تقع منهم قد يتوبون منها، وقد تكفر عنهم بحسناتهم الكثيرة، وقد يبتلون أيضًا بمصائب يكفر الله عنهم بها، وقد يكفر عنهم بغير ذلك[2].

الحق الخامس: اعتقاد تفاضلهم وإنزالهم منازلهم.

تتفاوت منازل الصحابة ﷺ حسب تفاوتهم في العلم والإيمان، والفضل والسبق، والنصرة والجهاد، وإن كانت دائرة الصحبة تجمعهم، وإن من حق الصحابة ﷺ، أن تعرف لهم الأمة منازلهم، التي دل عليها الكتاب والسنة من غير إفراط ولا تفريط.

وتأصيل هذا الحق من كتاب الله تعالى، قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾

---

(١) العقيدة الواسطية بشرح محمد خليل هراس (٢٤٩).

(٢) منهاج السنة النبوية (٦/ ١٩٦).

[الحديد: ١٠].

فكل الصحابة ﷺ موعود بالحسنى، ومع ذا فلا يستوون في الدرجة، وقد قال النبي ﷺ لخالد بن الوليد ﷺ وهو من أفاضل الصحابة ﷺ: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مدّ أحدهم، ولا نصيفه**». متفق عليه من حديث أبي سعيد، وتقدم شيء من كلام أهل العلم على هذا الحديث.

فهذه الآية وهذا الحديث يبينان تفاوت منازل الصحابة ﷺ والأدلة في ذلك كثيرة، وإنما القصد تأصيل هذا الحق.

قال الذهبي رحمه الله: فأصحاب رسول الله ﷺ، وإن كانوا عدولاً، فبعضهم أعدل من بعض وأثبت، فهنا عمر قنع بخبر عبد الرحمن، وفي قصة الاستئذان يقول: ائت بمن يشهد معك، وعلي بن أبي طالب يقول: كان إذا حدثني رجل عن رسول الله ﷺ أستحلفه، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر، فلم يحتج على أن يستحلف الصديق، والله أعلم[١].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٧٣).

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل منزلة دلّ عليها الدليل، ويفارقون بذلك أهل الأهواء الذين يقبلون ما وافق مرادهم، ويردون ما خالف أهواءهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم[١].

وإن من المهم معرفة منازل الصحابة ﷺ ومناقبهم، سواء تلك المنازل المشتركة التي يشترك في كل منزلة منها جماعة منهم، أو تلك المنازل المختصة بأفراد منهم، وما تلك الأهمية إلا لما يترتب على معرفتها من حقوق، فإن بعض الصحابة ﷺ اختص بزيادة فضيلة، أوجبت له على الأمة زيادة في التوقير والإجلال والمحبة، وإن كان الجميع يشتركون في القاعدة العامة من التوقير والإجلال والمحبة.

سئل أبو زرعة الرازي رحمه الله عمن اعتقد في الخلفاء الأربعة الأفضلية على الترتيب المعلوم، ولكن يحب أحدهم أكثر هل يأثم أم لا؟

---

(١) العقيدة الواسطية بشرح محمد خليل هراس (٢٧٣).

فأجاب: بأن المحبة قد تكون لأمر ديني، وقد تكون لأمر دنيوي، فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية، فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر، فمتى اعتقدنا في واحد منهم أنه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين كان تناقضا. إلى آخر كلامه[١].

وقال ابن رجب: (ومن كان له مزية في الدين لصحبة النبي ﷺ، أو لقرابته، أو نصرته، فله مزية خصوصية في محبته، ومن كان من أهل السوابق في الإسلام، كالمهاجرين الأولين، فهو أعظم حقًا مثل علي ﷺ[٢].

والصحابة ﷺ ينقسمون على سبيل الإجمال إلى ثلاثة أقسام، وكل قسم يمثل منزلة مستقلة، وهم على الترتيب في الأفضلية:

١ - المهاجرون
٢ - الأنصار[٣]

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٥٧).
(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ٥٩).
(٣) فائدة: قال ابن القيم رحمه الله: ثلاثة من الصحابة جمعوا بين كونهم أنصارا ومهاجرين، ذكرهم ابن إسحاق في سيرته أحدهم: ذكوان

٣ - من عدا هذين القسمين من مسلمة الفتح وغيرهم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والمراد بالمهاجرين: من عدا الأنصار، ومن أسلم يوم الفتح، وهلم جرا، فالصحاب من هذه الحيثية ثلاثة أصناف، والأنصار: هم الأوس والخزرج، وحلفاؤهم ومواليهم[١].

وما تقدم من تفضيل المهاجرين على الأنصار، وهما على غيرهما، لا يراد منه تفضيل كل فرد من الدرجة المفضلة على التي تليها، وإنما المراد التفضيل من حيث الجملة، يدل على هذا ما ورد في بعض الأنصار من الفضائل والمناقب، ما لم يرد في

ابن عبد قيس، من بني الخزرج، قال ابن إسحاق: كان خرج إلى رسول الله ﷺ، وكان معه بمكة المكرمة، ثم هاجر منها إلى المدينة، وكان يقال له: مهاجري أنصاري. شهد بدرًا، وقتل بأحد شهيدًا والعباس بن عبادة بن نضلة من بني الخزرج أيضًا، قال ابن إسحاق: كان فيمن خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة المكرمة، فأقام معه بها قتل يوم أحد شهيدًا. وعقبة بن وهب: خرج إلى رسول الله ﷺ مهاجرا من المدينة المنورة إلى مكة، وكان يقال له: مهاجري أنصاري حليف بني الخزرج). بدائع الفوائد (٤/ ١٧).

(١) فتح الباري (٧/ ١١).

كثير من المهاجرين، وذلك كسعد بن معاذ ﷺ[1].

ولبعض الصحابة منزلة تخصه من بين سائر الصحابة ﷺ، فمعتقد السلف الصالح الإقرار له بهذه المنزلة، واعتقاد أفضليته من هذه الجهة، وأعظم منازل الصحابة الخاصة منزلة [أبي بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون المهديون.

قال أبو عثمان الصابوني رحمه الله في ذكر عقيدة السلف:

ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي[2].

والقصد مما تقدم التنبيه على تفاضل الصحابة لما يترتب عليه من آثار، ومحل بسط هذه المنازل والتدليل عليها كتب السنة والاعتقاد.

---

(١) انظر لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٧٢).
(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٠١).

الحق السادس: محبتهم وموالاتهم وبغض من يبغضهم ومعاداتهم[١].

وهذا الحق هو واسطة العقد، وعليه تدور رحى الحقوق، فإن (كل حركة في العالم العلوي والسفلي، فأصلها المحبة، فهي علتها الفاعلية والغائية)[٢].

ومحبة الصحابة ﷺ، من محبة الله، فإن (المحبوب قسمان: محبوب لنفسه، ومحبوب لغيره، والمحبوب لغيره لابد أن ينتهي إلى المحبوب لنفسه، رفعًا للتسلسل المحال، وكل ما سوى المحبوب الحق فهو محبوب لغيره، وليس شيء يحب لنفسه إلا الله وحده، وكل ما سواه مما يحب فإنما محبته تبع لمحبة الرب تبارك وتعالى كمحبة ملائكته وأنبيائه وأوليائه، فإنها تبع لمحبته سبحانه، وهي من لوازم محبته، فإن محبة المحبوب توجب محبة ما يحبه، وهذا

---

(١) فائدة: قال ابن القيم رحمه الله: (أعمال القلوب في الثواب والعقاب كأعمال الجوارح ولهذا يثاب على الحب والبغض والموالاة والمعاداة في الله، وعلى التوكل والرضا والعزم على الطاعة، ويعاقب على الكبر والحسد والعجب والشك والرياء، وظن السوء بالأبرياء). زاد المعاد (٥/ ٢٠٣).

(٢) الجواب الكافي (٢٠٩).

موضع يجب الاعتناء به، فإنه محل فرقان بين المحبة النافعة لغيره والمحبة التي لا تنفع بل قد تضر(١).

وقد دل الكتاب العزيز على وجوب محبة الصحابة ﷺ، فإن الله تعالى قال بعد أن أثنى على المهاجرين والأنصار: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

قال القرطبي رحمه الله: وهذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظًا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم، والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحدًا منهم أو اعتقد فيه شرًا أنه لا حق له في الفيء روي ذلك عن مالك وغيره(٢).

وتأمل هذه الكلمة في الآية ﴿ وَلِإِخۡوَٰنِنَا ﴾ ترى فيها وشيجة الأخوة المقتضية للمحبة التي تربط الخلف بالسلف.

---

(١) الجواب الكافي (٢٠٩).
(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٢).

وقد ذكر أهل الاعتقاد هذا الحق في كتبهم، قال الطحاوي رحمه الله: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، وحبهم دين وإيمان وإحسان[١].

قال ابن أبي العز الحنفي: وقوله: وحبهم دين وإيمان وإحسان لأنه امتثال لأمر الله فيما تقدم من النصوص[٢].

وقال الموفق ابن قدامة رحمه الله: ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم[٣].

وقال السعدي رحمه الله: من تمام الإيمان برسول الله ﷺ ومحبته، محبة أصحابه بحسب مراتبهم من الفضل والسبق إلى أن قال وأن تدين الله بحبهم[٤].

هذا وإن من نظر في سيرة القوم وأيامهم، وجد في قلبه ضرورة تدفعه إلى محبتهم وموالاتهم إن كان يؤمن بالله تعالى

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٤٦٧).
(٢) المصدر السابق (٤٧١).
(٣) لمعة الاعتقاد (١٥٠).
(٤) سؤال وجواب في أهم المهمات المجموعة الكاملة (٣/ ٧٠).

ورسوله ﷺ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن عرف السيرة وأيام رسول الله ﷺ، وما قاموا به من الأمر، ثم كان مؤمنًا يحب الله ورسوله لم يملك أن لا يحبهم، كما أن المنافق لا يملك أن لا يبغضهم[١].

وإذا تقرر وجوب محبة الصحابة ﷺ وموالاتهم، فلا يتم ذلك بل لا يصح إلا ببغض من يبغضهم ومعاداتهم.

قال ابن القيم رحمه الله: فلا تصح الموالاة إلا بالمعاداة، كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبين أنه قال لقومه: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧]، فلم يصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة، فإنه لا ولاء إلا لله، ولا ولاء لله إلا بالبراءة من كل معبود سواه[٢].

---

(١) الصارم المسلول (٥٥٥).

(٢) الجواب الكافي (٢٠٤).

الحق السابع: الثناء عليهم ونشر فضائلهم.

أثنى الله عز وجل على صحابة نبيه ﷺ في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، وتقدم شيء منها في الفصل الأول.

ومثل ذلك ما جاء في حديث النبي ﷺ، وتقدم بعض منه.

وإن من واجب الإيمان بالكتاب والسنة، أن نثني على من أثنيا عليه، ونذم من ذماه، وبناء على هذا التقرير، فإن من حق الصحابة ﷺ على الأمة، الثناء عليهم، ونشر فضائلهم.

وقد ذكر أهل الاعتقاد هذا الحق في مصنفاتهم، ومن ذلك ما قاله الموفق ابن قدامة رحمه الله: ومن السنة... وذكر محاسنهم[١].

وقال السعدي رحمه الله: وأن تدين الله بحبهم ونشر فضائلهم[٢]، وقد قام السلف الصالح بهذا الحق على وجهه، ومنه ما تراه في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، كتبًا خاصة بمناقبهم، وذكر فضائلهم، بل أفردوا لذلك مصنفات تعنون

---

(١) لمعة الاعتقاد (١٥٠).

(٢) سؤال وجواب في أهم المهمات المجموعة الكاملة (٣/ ٧٠).

كثيرًا بـ (فضائل الصحابة) ومصنفات في (معرفة الصحابة).

وهذا الحق مجالات عدة: كتابة، ودراسة، وتربية، وتعليم. إن الأمة اليوم بحاجة ماسة للقيام بهذا الحق، حتى تشيع حياة الصحابة في المجتمع المسلم، وتتردد في أنحائه أسماء أبي بكر وعمر وسعد بن معاذ وخالد وهلم جرًا، فينشأ ناشئ الفتيان فينا، وهو أقرب الناس سمتًا وهديا بصحابة رسول الله ﷺ، ولئن كان ذلك - وما هو على الله بعزيز - فسيكون العز والمجد مركب الأمة، بعد تأخر وتقهقر دام قرونًا، سببه البعد عن هدي السلف الصالح.

الحق الثامن: الاقتداء بهم[1].

والأصل في ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ

---

(١) فصل ابن القيم رحمه الله: القول في وجوب اتباع أقوال الصحابة ﷺ من وجوه كثيرة: في كتابه أعلام الموقعين (٤/ ١٠٤). وقال في زاد المعاد (٥/ ٢٩٩) في أثناء بحث مسألة: (ولولا هيبة أصحاب رسول الله ﷺ لما عدلنا عن هذا القول، ولكن أصحاب رسول الله ﷺ هم القدوة).

عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال ابن كثير رحمه الله: فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية[(١)].

ومما يدل على وجوب متابعتهم، ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - مرفوعًا: «**وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**». قال: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**». أخرجه الترمذي[(٢)].

وهذا الحديث نص صريح، واضح الدلالة، في أن السلامة والفوز في السير خلف أولئك الركب، وأن الهلكة والعطب في اتخاذ سبيل غير سبيلهم[(٣)] كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٨٢).

(٢) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة، تحفة الأحوذي (٧/ ٣٣٣). وقال الترمذي عقب هذا الحديث: هذا حديث حسن غريب مفسر، لا نعرف مثل هذا إلا من هذا الوجه. وانظر صحيح الترمذي للألباني (٢/ ٣٣٤).

(٣) فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقد تبين لك: أن من

ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

قال ابن جرير رحمه الله: ﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ يقول: ويتبع طريقًا غير طريق أهل التصديق، ويسلك منهاجًا غير منهاجهم[(١)].

نزلت هذه الآية والصحابة ﷺ هم المؤمنون الموجودون فسبيل المؤمنين هو سبيل الصحابة ﷺ، ولهذا فكل مؤمن جاء بعدهم فهو تبع لهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهم صدور المؤمنين، فإنهم هم المواجَهون بالخطاب في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ حيث ذكرت[(٢)].

=

أصل دروس [ذهاب] دين الله وشرائعه، وظهور الكفر والمعاصي، التشبه بالكافرين. كما أن من أصل كل خير: المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم، ولهذا عظم وقع البدع في الدين وإن لم يكن فيها تشبه بالكفار، فكيف إذا جمعت الوصفين؟) اقضاء الصراط المستقيم (١/ ٣١٢).

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٤/ ٢٧٧).

(٢) الصارم المسلول (٥٤٤).

وفي هذه الآية من الوعيد الشديد ما قد رأيت لمن ترك متابعة صحب النبي ﷺ، مما يدل على تأكد وجوب ضده.

وما زال أهل العلم يقررون هذا الحق عند كتابتهم في علم المعتقد، وأكتفي بنص واحد من نصوصهم الكثيرة المتوافرة.

قال أبو عثمان الصابوني رحمه الله: ويقتدون بالنبي ﷺ وبأصحابه[١].

وكان التابعون رحمهم الله يتشبهون بصحابة النبي ﷺ، اقتداء بهم، واتباعًا لهم، ومن أمثلة ذلك:

ما جاء عن علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي فقيه الكوفة، وعالمها ومقرئها - كما قال الذهبي - فقد كان كثير التشبه بصاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود ﷺ.

روى زائدة عن أبي حمزة، قال: قلت لرباح أبي المثنى: أليس قد رأيت عبد الله؟ قال: بلى، ثم قال: إذا رأيت علقمة فلا يضرك ألا ترى عبد الله. وعن الأعمش عن عمارة بن

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١١٣).

عمير، قال: قال لنا أبو معمر: قوموا بنا إلى أشبه الناس بعبد الله هديًا ودلاً وسمتًا، فقمنا معه حتى جلسنا إلى علقمة[١].

وما هذا الاقتداء إلا لأنه اقتداء بالنبي ﷺ نفسه، إذ أن الصحابة ﷺ، صحبوه وعايشوه، وتلقوا منه العلم والعمل والخلق الجميل، والسمت الحسن، سمعوا لفظه ورأوا شخصه[٢]، فكانوا أحرى الناس بالاقتداء والاهتداء.

قال الشاطبي رحمه الله: (وحاصل الأمر أن أصحابه كانوا

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٥).

(٢) فائدة: ذكر ابن القيم رحمه الله: أنه لم يكن في الصحابة (أطرش) وكان فيهم جماعة أضراء، فقال: (وقد اختلف النظار أيهما أقرب إلى الكمال. وأقل اختلالاً لأموره، الضرير أو الأطرش؟)، ثم قال: (والذي يليق بهذا الموضع أن يقال: عادم البصر أشدهما ضررًا وأسلمهما دينًا، وأحمدهما عاقبة، وعادم السمع أقلهما ضررًا في دنياه، وأجهلهما بدينه، وأسوأ عاقبة، فإنه إن عدم السمع، عدم المواعظ والنصائح، وانسدت عليه أبواب العلوم النافعة، وانفتحت له طرق الشهوات التي يدركها البصر، ولا يناله من العلم، ما يكفه عنها. فضرره في دينه أكثر، وضرر الأعمى في دنياه أكثر، ولهذا لم يكن في الصحابة أطرش، وكان فيهم جماعة أضراء، وقل أن يبتلي الله أولياءه بالطرش، ويبتلي كثيرا منهم بالعمى). مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٦).

مقتدين به، مهتدين بهديه، قد جاء مدحهم في القرآن الكريم، وأثنى عليهم متبوعهم محمد ﷺ، وإنما خُلُقه عليه السلام القرآن، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] فالقرآن إذًا هو المتبوع على الحق، وجاءت السنة مبينة له، فالمتبع للسنة متبع للقرآن والصحابة كانوا أولى الناس بذلك، فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله، وهو معنى قوله عليه السلام: «ما أنا عليه وأصحابي»[١].

قال السفاريني:

فإنهم قد شاهدوا المختارا　　وعاينوا الأسرار والأنوارا

قال في شرحه: فهم أسعد الأمة بإصابة الصواب، وأجدر الأئمة بعلم فقه السنة والكتاب، لفوزهم بصحبة النبي ﷺ، ومشاهدة نزول الوحي ومعرفة الأسباب[٢].

---

(١) الاعتصام (٢/ ٧٥٩).
(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٨٣).

الحق التاسع: الدعاء لهم.

وتأصيل هذا الحق في قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

قال الشوكاني رحمه الله: عند هذه الآية: فمن لم يستغفر للصحابة على العموم، ويطلب رضوان الله لهم، فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية[١].

وفي كتب الاعتقاد يقول أبو عثمان الصابوني رحمه الله عن السلف الصالح: ويرون الترحم على جميعهم[٢].

ويقول الموفق ابن قدامة رحمه الله: ومن السنة... والترحم عليهم والاستغفار لهم[٣].

وكان هذا دأب السلف الصالح والتابعين لهم بإحسان، عند ذكرهم للصحابة ﷺ يدعون لهم ويستغفرون.

---

(١) تفسير الشوكاني (٥/ ٢٦٢).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٠٧).

(٣) لمعة الاعتقاد (١٥٠).

قال أبو بكر الخلال رحمه الله: وحدثني أبو بكر المروذي قال: سمعت أبا عبد الله، وذكر له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: رحمهم الله أجمعين[1].

ولا يستثنى من هذا الدعاء والترضي والاستغفار أحد من الصحابة ﷺ بدلالة الآية المذكورة قبل، ولهذا قرر العلماء هذا التعميم في الدعاء كما مرّ.

---

(١) السنة (٣/ ٤٧٧).

الخاتمة

لله عز وجل الحمد والشكر، وأشكره على ما منّ به من إتمام هذا الجزء الذي أسأل الله سبحانه أن يكون التوفيق فيه قد حالفني، وإن مما خلصت إليه من الفوائد بعد العيش في هذا الفصل المهم من فصول العلم.

أولاً: معرفة رسم الصحابي، وبيان أن عددهم لا يمكن حصره، ثم معرفة الطرق التي يعلم بها كون الشخص صحابيًا، وذكر آخر من مات من الصحابة ﷺ، وهو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي ﷺ، وأن هذا مطابق لقوله ﷺ قبل وفاته بشهر: **«على رأس مائة سنة، لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد»**.

ثانيًا: عظم فضل الصحابة ﷺ، وهذا لا يشك فيه مسلم، وعوام المسلمين حتى الأميّ منهم الذي لا يقرأ ولا يكتب يعرف ذلك، لكن عند النظر والتأمل في نصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الشأن، يظهر جليًا هذا الفضل، فلله درهم! ما أعظم نعمة الله عليهم بمصاحبتهم خير خلق الله أجمعين.

ثالثًا: ضرورة التصحيح العقدي لما وقع فيه كثير من مخالفات وأخطاء في مجال الاعتقاد، وموضوع بحثنا هذا مثل على ذلك.

إن أساس التصحيح وعموده هو تصفية عقيدة المسلم من كل الشوائب والمكدرات، والتي تختلف ما بين قطر وآخر كثرة وقوة، وقلة وضعفًا، فكان من الواجب أن تتضافر الجهود وتجتمع الأيدي على تصحيح العقيدة أولاً في مجالاتها الكثيرة، والتي تجعل المسلم يحسن الطريقة ويصلح العمل مع ربه، ثم مع الناس ونفسه، إذ أن العقيدة السليمة تكفل ذلك كله.

رابعًا: تقصير كثير من أفراد الأمة في جوانب كثيرة من حقوقهم، فمن ذلك: قلة الاقتداء بهم، فإن حياة الأمة عامة، بعيدة عن حياة الصحابة ﷺ في جوانب الحياة كلها، فباتت الأمة شذر مذر، إذ ضرب الذل بنيانها، وأصاب التشتت كيانها، حتى أصبحت مضرب المثل في الهوان، إلا بقايا من أهل العلم والإيمان الذين تمسكوا بالهدي الأول، ورفعوا أبصارهم إلى النبي ﷺ، وأصحابه ﷺ فانعكس نورهم عليهم واصطبغوا بصبغتهم.

فهذا هو الدرب الحق فيتحتم على الأمة أن تسلكه إن أرادت عز الدنيا والآخرة، وأن تكون متبوعة لا تابعة، مسموعة الكلمة، قائدة الركب وإن مما قصر فيه من حقوقهم تربية الناشئة على معرفة الصحابة، وإدراك فضلهم، لاسيما أعيانهم وكبراؤهم، لقد صار كثير من شباب المسلمين مقطوع الصلة بذلك الجيل العظيم، وما ظنك بغصن قطع من أصل شجرة، هل يبقي فيه حياة؟ إن من الضروري لأمة الإسلام إن أرادت السؤدد والعزة السليبة أن تعيد كثيرًا من مناهج حياتها إلى منهج الإسلام، وأخص بذلك منهج التعليم الذي لابد أن يقوم على غرس الانتساب إلى هذا الدين في قلوب ناشئة المسلمين ومنه تربيتهم على حب الصحابة ومعرفة فضلهم والإلمام بأيامهم وحياتهم.

ومما وقع فيه بعض المسلمين الخوض فيما جرى بين بعض الصحابة ﷺ من حروب ومواقف فمازال بعض[١]

---

(١) فائدة: قال الأزهري: وأجاز النحويون إدخال الألف واللام على (بعض، وكل) إلا الأصمعي فإنه امتنع من ذلك، وقال أبو حاتم: قلت للأصمعي: رأيت في كلام ابن المقفع (العلم كثير، ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل)، فأنكره أشد الإنكار، وقال: كل

يلوك[1] بلسانه ويسود ديوانه بالكلام في هاتيك الحوادث تجريحًا وتعديلاً، وكأنه نصب حكمًا بينهم، وهذا التصرف خلاف ما قرره السلف الصالح من القواعد المستندة على الدليل.

وهكذا ترى تقصيرًا واضحًا في جوانب شتى من حقوق الصحابة ﷺ.

هذا والله ولي التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

=

وبعض معرفتان فلا تدخلهما الألف واللام لأنهما في نية الإضافة. المصباح المنير (٣٣).

(١) اللوك: أهون المضغ، أو مضغ صلب، أو علك الشيء، وقد لاك الفرس اللجام، وهو يلوك أعراضهم: يقع فيه. القاموس المحيط (٩٥٢).

المراجع

١ - الإصابة في تمييز الصحابة - شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر - دار الكتاب العربي.

٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين الشنقيطي - مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ.

٣ - أعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن القيم الجوزية - دار الكتاب العربي - ط الثانية ١٤١٨هـ.

٤ - بدائع الفوائد - ابن القيم الجوزية - دار الخير - ط. الأولى ١٤١٤هـ.

٥ - التبصرة والتذكرة - زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي - دار الكتب العلمية.

٦ - تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار الكتب العلمية - ط الثانية، ١٤١٨هـ.

٧ - تفسير القرآن العظيم - لعماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي - دار ابن حزم - ط الأولى ١٤١٩هـ.

٨ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة - لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني - دار الكتب العلمية - ط الثانية ١٤٠١هـ.

٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي - مؤسسة الرسالة - ط الرابعة ١٤١٧هـ.

١٠ - الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الكتب العلمية - ط الخامسة ١٤١٧هـ.

١١ - جزء في طرق حديث «لا تسبوا أصحابي» ابن حجر العسقلاني - ط الأولى ١٤٠٨هـ.

١٢ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - لابن القيم الجوزية - مكتبة المؤيد - ط الثانية ١٤١٣هـ.

١٣ - حاشية ابن قطلوبغا على شرح نخبة الفكر - دار الوطن - ط الأولى ١٤٢٠هـ.

١٤ - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ - دار الكتاب العربي - ١٤١٠هـ.

١٥ - زاد المعاد في هدي خير العباد - لابن قيم الجوزية،

مؤسسة الرسالة - دار الكتب العلمية - ط الخامسة عشر ١٤٠٧هـ.

١٦ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف ١٤١٥هـ.

١٧ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الأولى الطبعة الجديدة ١٤١٢هـ.

١٨ - السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال - دار الراية - ط الأولى ١٤١٠هـ.

١٩ - سنن أبي داود - لأبي داود السجستاني - دار الحديث القاهرة - .

٢٠ - سنن الترمذي - تحفة الأحوذي - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١٠هـ.

٢١ - سير أعلام النبلاء - لشمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي - مؤسسة الرسالة - ط الثامنة.

٢٢ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي - دار

طيبة - ط الرابعة ١٤١٨هـ.

٢٣ - شرح العقيدة الطحاوية - لابن أبي العز الحنفي - المكتب الإسلامي - ط التاسعة ١٤٠٨هـ.

٢٤ - شرح العقيدة الواسطية - خليل هراس - دار الهجرة - ط الثالثة ١٤١٥هـ.

٢٥ - الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ - لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية - دار الكتاب العربي - ط الأولى ١٤١٦هـ.

٢٦ - صحيح البخاري - فتح الباري - دار الريان للتراث - ط الأولى ١٤٠٧هـ.

٢٧ - صحيح الترمذي - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي.

٢٨ - صحيح مسلم بشرح النووي - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١١هـ.

٢٩ - طريق الهجرتين وباب السعادتين - ابن قيم الجوزية - دار ابن كثير - ط الأولى ١٤١٤هـ.

٣٠ - عقيدة السلف أصحاب الحديث - لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني - مكتبة الغرباء الأثرية -

ط الثالثة ١٤١٥هـ.

٣١ - فتح القدير - محمد بن علي الشوكاني - مؤسسة الريان - ط الأولى ١٤١٨هـ.

٣٢ - فتح المغيث شرح ألفية الحديث - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١٤هـ.

٣٣ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة - محمد ابن علي الشوكاني - المكتب الإسلامي - ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

٣٤ - الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة - مرعي ابن يوسف الكرمي المقدسي - دار الوراق - ط الثالثة ١٤١٩هـ.

٣٥ - القاموس المحيط - لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - مؤسسة الرسالة - ط السادسة ١٤١٩هـ.

٣٦ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لجار الله محمود بن عمر الزمخشري - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١٥هـ.

٣٧ - الكفاية في علم الرواية - لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي - دار الكتاب العربي - ط الثانية ١٤٠٦هـ.

٣٨ - لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد - موفق الدين محمد بن عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي - مكتبة أضواء السلف - ط الثالثة ١٤١٥هـ.

٣٩ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية - شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية - محمد السفاريني الحنبلي - المكتب الإسلامي - ط الثالثة ١٤١١هـ.

٤٠ - مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه محمد.

٤١ - المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - مركز صالح بن صالح الثقافي - ط الثالثة ١٤١٢هـ.

٤٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١٣هـ.

٤٣ - مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - مكتبة لبنان.

٤٤ - المصباح المنير - أحمد محمد بن علي الفيومي - المكتبة العصرية - ط الأولى ١٤١٧هـ.

٤٥ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - ابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١٣هـ.

٤٦ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة - لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤٠٧هـ.

٤٧ - الوسائل في مسامرة الأوائل - السيوطي - ويليه الأوائل - للحافظ الطبراني - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٤٨ - الآداب الشرعية والمنح المرعية - لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي - مؤسسة قرطبة.

٤٩ - تأويل مختلف الحديث - ابن قتيبة الدينوري - مؤسسة الكتب الثقافية - ط الأولى - ١٤٠٨هـ.

٥٠ - من عاش من الصحابة ١٢٠ عامًا - الحافظ يحيى ابن منده، دار المعراج الدولية للنشر ١٤١٣هـ.

٥١ - منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة القدرية - شيخ الإسلام ابن تيمية - ط الأولى، ١٤٠٦هـ.

الموضوعات